المترفون في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور / إبراهيم رمضان عبدالقادر

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

المترفون في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إبراهيم رمضان عبدالقادر الباز

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: ebrahimdr496@gmail.com

الملخص:

لقد أنعم الله علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤)، لكن الإنسان قد يظلم نفسه بظلمه نعم الله عليه حين يكفرها، فيعرضها للزوال؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ومن أشكال ظلمه لنفسه أن يتجاوز حد الاعتدال مع التعامل مع هذه النعم، فيتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وينغمس فيها؛ فيعيش متنعما مترفا همه دنياه فقط، وقد ينتقل هذا الأمر من إنسان لآخر؛ فينشأ عن ذلك طبقة من المترفين الذين لا هم إلا جمع المال فقط والتنعم به على حساب الآخرة، والذين يعدون سببا من أسباب هلاك المجتمع؛ قال تعالى: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها. فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾ (الإسراء: ١٦) .

وتعد الآيات القرآنية التي تحدثت عن المترفين نوعًا من التنبيه الإلهي لنا؛ حتى نلتفت إلى مسؤوليتنا تجاه ظاهرة موجة الغلاء العالمية؛ حيث إن المترفين يستهلكون الموارد الاقتصادية في غير محلها، مما يؤدي إلى نقصها وارتفاع أسعارها.

لذلك أحببت أن أشارك في هذا المؤتمر الذي تقيمه كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة والذي هو بعنوان: **"التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية"** بهذا البحث بعنوان: **"المترفون في القرآن الكريم دراسة موضوعية"**، وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ فأما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث، وأما التمهيد فيشتمل

على تعريف المترفين (اللغة والاصطلاح والأسلوب القرآني)، و العلاقة بينه وبين الألفاظ قريبة الدلالة، وجاءت المباحث الثلاثة كالتالي: سمات المترفين وصفاتهم في القرآن الكريم - عاقبة المترفين في الدنيا والآخرة - كيفية الحد من الترف لمواجهة موجة الغلاء العالمية، وأما الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج والمقترحات، ثم ذيلت البحث بثبت أهم المراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: المترفون، القرآن الكريم، دراسة موضوعية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The luxuriants in the Noble Qur'an - an objective study

Ibrahim Ramadan Abdul qader Al , Baz
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: ebrahimdr496@gmail.com

Abstract:

Glory be to Him said: "If you transgress the blessings of Allah, you will not count them" (Ibrahim: 34) , but a person may oppress himself by oppressing the blessings of Allah upon him when he disbelieves them, exposing them to demise; Glory be to Him said: "Man is an infidel oppressor" (Ibrahim: 34) , and one of the forms of his injustice to himself is to exceed the limit of moderation while dealing with these blessings, so he expands in the sanctuary of the world and its desires, and indulges in it; This creates a class of luxuries who are only interested in collecting money and enjoying it at the expense of the hereafter, and who are considered one of the reasons for the destruction of society. It is right for her to say, and we destroyed her" (Al-Isra'a: 16) .

The Qur'anic verses that talked about the affluent are a kind of divine warning to us, so that we pay attention to our responsibility towards the phenomenon of the global wave of high prices, as the luxuries consume misplaced economic resources, which leads to their shortage and high prices.

Therefore, I liked to participate in this conference held by the Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Mansoura, which is entitled: "Sharia and practical measures in the face of the wave of global high prices" with this research entitled: "The luxuriants in the Holy Qur'an, an objective study", and I have divided the research into

an introduction, a preamble, three sections and a conclusion; Features of luxuries and their qualities in the Holy Quran - the consequence of luxuries in this world and the hereafter - how to reduce luxury to face the wave of global prices, and the conclusion included the most important results and proposals, then appended the research with a bibliography of the most important references, and an index of topics.

Keywords: luxurious, the Holy Quran, objective study.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فلقد أنعم الله علينا بنعم لا تُعَدُّ ولا تُحصى؛ قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ (إبراهيم: ٣٤)، لكن الإنسان قد يَظلم نفسَه بظلمه نعمَ الله عليه حين يَكفرها، فيعرضها للزوال؛ قال سبحانه: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ومن أشكال ظلمه لنفسه أن يتجاوز حد الاعتدال في التعامل مع هذه النعم، فيتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وينغمس فيها؛ فيعيش متنعما مترفا همّه دنياه فقط، وقد ينتقل هذا الأمر من إنسان لآخر؛ فينشأ عن ذلك طبقة من المترفين الذين لا هَمَّ لهم إلا جمع المال فقط والتنعم به على حساب الآخرة، والذين يُعَدُّون سببا من أسباب هلاك المجتمع؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً**﴾ (الإسراء: ١٦) .

وتُعد الآيات القرآنية التي تحدثت عن المترفين نوعا من التنبيه الإلهي لنا؛ حتى نلتفت إلى مسؤوليتنا تجاه **ظاهرة موجة الغلاء العالمية؛** حيث إن المترفين يستهلكون الموارد الاقتصادية في غير محلها، مما يؤدي إلى نقصها وارتفاع أسعارها؛ لذلك أحببت أن أشارك في هذا المؤتمر الذي تقيمه كليتنا العامرة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة والذي هو بعنوان: **"التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية"** بهذا البحث بعنوان: **" المترفون في القرآن الكريم دراسة موضوعية"**.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث بتقسيمه إلى تمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما **المقدمة**: فتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه وخطوات السير فيه.

و **التمهيد**: ويشتمل على تعريف الترف، و العلاقة بينه وبين الألفاظ قريبة الدلالة.

وجاءت **المباحث الأربعة كالتالي**:

المبحث الأول: الترف في أسلوب القرآن الكريم.

المبحث الثاني: صفات المترفين وسلوكهم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: جزاء المترفين في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: أسباب الترف وعلاجه.

والخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج والمقترحات والتوصيات.

ثم ذيلت البحث بثبت أهم المراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث وخطوات السير فيه:

أسير في هذا البحث بمنهج وخطوات كالتالي:

أولًا: أنتهج في هذا البحث المنهج **الاستقرائي الوصفي**؛ فأقوم بجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع الترف، ثم أقرأ تفسيرها في كتب التفسير القديمة والحديثة، ثم أقسم ما أقرؤه وأتوصل إليه إلى مباحث وفق الخطة السابقة.

ثانيًا: أقوم بتوثيق وتحقيق النصوص كالتالي:

١- أعزو الآيات القرآنية إلى سورها الكريمة، مع بيان رقم الآية، وضبطها وحصرها بين قوسين.

٢- أخرّج الأحاديث تخريجا علميا مع بيان اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما أكتفي في تخريجه بالعزو إليهما أو إلى أحدهما؛ لتلقي العلماء لهما بالقبول، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين خرَّجته من كتب السنة تخريجا يؤدي الغرض مع ذكر أقوال أئمة الحديث فيه من حيث الصحة والضعف- إن وجد-.

٣- أخرّج الآثار من الكتب التي اعتنت بذكرها مسندة إذا وجدت ذلك، مع ذكر أقوال العلماء فيها من حيث الصحة والضعف- إن وجد-.

٤- أوثّق النصوص توثيقا علميا دقيقا من مصادرها الأصيلة، وأعزو كل نص إلى صاحبه، وأذكر الطبعة والناشر في **ثبت المصادر والمراجع**.

ثالثًا: لا أقوم بتعريف الأعلام الواردة في البحث؛ نظرا لكون أغلبهم مفسرين، وسأذكر أسماءهم كاملة وتاريخ وفياتهم في ثبت المصادر والمراجع.

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويكتب لنا القبول في الدنيا والآخرة

التمهيد: تعريف الترف والعلاقة بينه وبين الألفاظ قريبة الدلالة.

حتى تتضح لنا حقيقة المترفين وصفاتهم في القرآن الكريم؛ يجدر في هذا المقام أن أقوم بتعريف الترف، وأذكر العلاقة بينه وبعض الألفاظ قريبة الدلالة مثل: التبذير، والبذخ، و السفه، والبطر.

أولاً: تعريف الترف:

الترف مأخوذ من مادة (ت ر ف)، و (التَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ) - كما قال ابن فارس- كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ التُّرْفَةُ[١]، والتُّرْفةُ: بِالضَّمِّ: الهَنةُ الناتئةُ فِي وَسَطِ الشَّفةِ الْعُلْيَا خِلْقةً وَصَاحِبُهَا أَتْرَفُ[٢]، والتُّرْفةُ: الطعامُ الطَّيِّبُ، والنَّعْمةُ[٣]، يُقَالُ: رَجُلٌ مُتْرَفٌ مُنَعَّمٌ، والترَفُ: التَّنَعُّمُ، وَتَرَّفَهُ أَهْلُه: إِذَا نَعَّمُّوهُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ وَالشَّيْءِ يُخَصُّ بِهِ[٤]، وصبيٌّ مَتَرَّف: إِذا كَانَ مُنَعَّمَ البَدَنِ مُدَلَّلاً، والمُتْرَفُ: الَّذِي أَبْطَرَتْهُ النِّعْمة، وسَعَةُ العَيْشِ[٥]، والمتَنَعّم المُتَوَسّع فِي مَلاَذّ الدُّنْيَا وشَهواتها[٦]، والتَّتْريفُ حُسْنُ الغِذاء، وأَتْرَفَتْه النَّعْمةُ، أَي: أَطْغَتْه، وتَرَّفَ الرجلَ وأَتْرَفَه: دَلَّلَه ومَلَّكَه، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها**﴾[٧]؛ أَي: أُولو الترفةِ، وأَراد: رؤساءَها وقادةَ الشَّرِّ مِنْهَا، وأَتْرَفَ الرجلَ: أَعطاه شَهْوَتَه؛ وتَرِفَ النباتُ: تَرَوّى[٨]، وكثر مَاؤُهُ ونضر[١]، والتُّرفة: مِسْقاةٌ يُشْرَبُ بها[٢]، وأَتْرَفَتْهُ: نَعَّمَتْهُ، وَمِنْه قولُه تعالَى: ﴿**مَا**

---

(١) مقاييس اللغة، ١/ ٣٤٥.

(٢) لسان العرب، ٩/ ١٧.

(٣) لسان العرب، ٩/ ١٧.

(٤) مقاييس اللغة، ١/ ٣٤٥.

(٥) تهذيب اللغة، ١٤/ ١٩٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٨٧.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٣٤، وسورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٨) لسان العرب، ٩/ ١٧.

أُتْرِفُوا﴾ [٣]، أَي مَا نُعِّمُوا، كَتَرَّفَتْهُ تَتْرِيفًا، أَي أَبْطَرَتْهُ، وأُتْرِفَ فلانٌ: أَصَرَّ عَلَى الْبَغْي، وقَالَ ابنُ عَرَفَةَ: المُتْرَفُ، كمُكْرَمٍ: المَتْرُوكُ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ لَا يُمْنَعُ مِنْهُ، قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَنَعِّمُ المُتَوَسِّع فِي مَلاَذِّ الدُّنْيَا وشَهَواتِهَا مُتْرَفًا؛ لأَنَّه مُطْلَقٌ لَهُ، لَا يُمْنَعُ مِن تَنَعُّمِهِ، والمُتْرَفُ: الجَبَّارُ، وَبِه فَسَّرَ قَتَادَةُ قولَهُ تعالَى: **"أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا"**، أَي: جَبَابِرتَهَا، وقالَ غيرُه: أُولِي التُّرْفَةِ، وأَرادَ رُؤَسَاءَها وقَادَةَ الشَّرِّ مِنْهَا[٤]، وتَرَف: مصدر ترِفَ، وهو إشباع حاجة غير ضروريّة، وترِف الشَّخصُ: تنعّم، وعاش في رفاهِيَة "تعوّد على عِيشة التَّرف"، وأترف أولادَه: جعلهم في سَعَة من العيش والمال ودَلَّلهم "، أَتْرَفته النِّعمةُ: أطغته وأفسدته[٥].

فيؤخذ من هذه التعريفات: أن الترف هو التنعم بملذات الدنيا وشهواتها، وهذا التنعم يصحبه- غالبا- جهل وطغيان وعدم شكر نعم الله، فيؤدي كل هذا إلى إنفاق الأموال في غير طاعة الله تعالى، ويعيش المترفون في حياة من الترف والبذخ، ويتبعون أهواءهم وشهواتهم، وربما يؤدي كل هذا إلى التجبر والطغيان.

ثانيًا: تعريف الإسراف والعلاقة بينه وبين الترف:

الإسراف مصدر للفعل أسرف، ومادة أسرف هي (س ر ف)، والسِّينُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى: تَعَدِّي الْحَدِّ وَالْإِغْفَالِ أَيْضًا لِلشَّيْءِ؛ تَقُولُ: فِي الْأَمْرِ سَرَفٌ، أَيْ مُجَاوَزَةُ الْقَدْرِ، وَأَمَّا

---

(١) المعجم الوسيط، ١/ ٨٤.

(٢) لسان العرب، ٩/ ١٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٣/ ٥٣، ٥٤. **وينظر** قول قتادة وغيره من العلماء: في تفسير يحيى بن سلام، ١/ ١٢٣.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٢٩٠.

الْإِغْفَالُ فَقَوْلُ الْقَائِلِ: "مَرَرْتُ بِكُمْ فَسَرِفْتُكُمْ"، أَيْ: أَغْفَلْتُكُم، وَيَقُولُونَ إِنَّ السَّرَفَ: الْجَهْلُ[١]، والسَّرَفُ: الخَطَأ[٢]، والسَّرَف والإِسْرَافُ: مُجاوزةُ القَصْدِ، وأَسْرَفَ فِي مَالِهِ: عَجِلَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وأَما السَّرَفُ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ، فَهُوَ مَا أُنْفِقَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، قَلِيلًا كَانَ أَو كَثِيرًا. والإِسْرافُ فِي النَّفَقَةِ: التبذيرُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾[٣]؛ قَالَ سُفْيَانُ: "لَمْ يُسْرِفُوا"؛ أَي: لَمْ يضَعُوه فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، "وَلَمْ يَقْتُرُوا": لَمْ يُقَصِّروا بِهِ عَنْ حَقِّهِ؛ وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا**﴾[٤]، الإِسْرافُ: أَكل مَا لَا يَحِلُّ أَكله، وَقِيلَ: هُوَ مُجاوزةُ الْقَصْدِ فِي الأَكل مِمَّا أَحلَّه اللهُ، وَقَالَ سُفْيَانُ: الإِسْراف كُلُّ مَا أُنفق فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، وَقَالَ إياسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: الإِسرافُ مَا قُصِّر بِهِ عَنْ حَقِّ اللهِ. والسَّرَفُ: ضِدَّ القصد. وأَكَلَه[٥] سَرَفًا أَي فِي عَجَلة. ﴿**وَلا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَبِداراً أَنْ يَكْبَرُوا**﴾[٦]؛ **أَي**: ومُبادَرة كِبَرِهِم، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِسْرافًا؛ أَي لَا تَأْثَلُوا مِنْهَا وَكُلُوا الْقُوتَ عَلَى قَدْرِ نَفْعِكم إِيَّاهُمْ، وأَسْرَفَ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْقَتْلِ: أَفْرَط، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ**﴾[٧]؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: اخْتُلِفَ فِي الإِسراف فِي الْقَتْلِ فَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِ صَاحِبِهِ، وَقِيلَ: أَن يَقْتُلَ هُوَ القاتلَ دُونَ السُّلْطَانِ، وَقِيلَ: هُوَ أَن لَا يَرْضى بِقَتْلِ وَاحِدٍ حَتَّى يَقْتُلَ جَمَاعَةً لِشَرَفِ الْمَقْتُولِ وخَساسة الْقَاتِلِ أَو أَن يَقْتُلَ أَشرف مِنَ الْقَاتِلِ؛ **قَالَ**

---

(١) مقاييس اللغة، ٣/ ١٥٤.

(٢) كتاب العين، للخليل، ٧/ ٢٥٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٥) لسان العرب، ٩/ ١٤٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ٦.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

الْمُفَسِّرُونَ[١]: لَا يَقْتُلُ غَيْرَ قَاتِلِهِ وَإِذَا قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ، والسَّرَفُ: تجاوُزُ مَا حُدَّ لَكَ، والسَّرَفُ: الخطأُ، وأَخطأَ الشيءَ: وَضَعَه فِي غَيْرِ حَقِّه؛ ، و سَرَفُ الْمَاءِ مَا ذهَب مِنْهُ فِي غَيْرِ سَقْي وَلَا نَفْع، يُقَالُ: أَروت البئرُ النخيلَ وَذَهَبَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ سَرَفًا، وسَرِفْتُ يَمينَه أَي لَمْ أَعْرِفْها، والسَّرَفُ: الضَّراوةُ. والسَّرَفُ: اللَّهَجُ بِالشَّيْءِ، وَقِيلَ: السَّرَفُ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الإِسرافِ، وَالتَّبْذِيرِ فِي النَّفَقَةِ لِغَيْرِ حَاجَةٍ أَو فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الإِسراف فِي الْحَدِيثِ، وَالْغَالِبُ عَلَى ذِكْرِهِ الإِكثار مِنَ الذُّنُوب وَالْخَطَايَا واحْتِقابِ الأَوْزار وَالْآثَامِ. والسَّرَفُ: الخَطَأُ، وسَرِفَ الشيءَ، بِالْكَسْرِ، سَرَفًا: أَغْفَلَه وأَخطأَه وجَهِلَه، وَذَلِكَ سَرْفَتُه وسِرْفَتُه. والسَّرَفُ: الإِغفالُ، والسَّرَفُ: الجَهْلُ، وسَرِفَ القومَ: جاوَزهم، والسَّرِفُ: الجاهلُ وَرَجُلٌ سَرِفُ الفُؤاد: مُخْطِئُ الفُؤادِ غافِلُه، وسَرِفُ الْعَقْلِ أَي قَلِيلٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**﴾؛ كَافِرٌ شاكٌّ[٢].

فالإسراف في الأصل: تَعَدِّي الْحَدِّ وَالْإِغْفَالِ لِلشَّيْءِ، **ثم أطلق على**: مُجَاوَزَةُ الْقَدر والقصد، والْجَهْل والخَطَأ، والإنفاق في غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، قَلِيلًا كَانَ أَو كَثِيرًا، وعلى التبذير، و أَكل مَا لَا يَحِلُّ أَكله.

والإسراف اصطلاحًا: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس، **وقيل**: هو تجاوز الحدّ في النّفقة، و مجاوزة القدر فيها؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [٣]، **وقيل**: هو أن يأكل الرّجل ما لا يحلّ له أو يأكل ممّا يحلّ له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة، **وقيل**: هو تجاوز في الكمّيّة فهو جهل بمقادير الحقوق، **وقال المناويّ:** الإسراف: إنفاق مال كثير في غرض خسيس، وقد يقال

---

(١) **ينظر**: تفسير الطبري، ١٧/ ٤٤٢.

(٢) لسان العرب، ٩/ ١٥٠، والهداية إلى بلوغ النهاية، ١٠/ ٦٤٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

تارة اعتبارا بالكمية وتارة بالكيفية، قيل: الإبعاد في مجاوزة الحد[١].والسرف: مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الانسان، لكن في الانفاق أشهر[٢].

وضد الإسراف: التقتير، وهو تضييق في النفقة، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾ [٣]؛ فالإسراف: مجاوزة الحدِّ في النفقة، والإقتار: التقصير عمّا لا بُدَّ منه[٤]؛ أي: كان إنفاقهم قصداً وسطًا بين الإسراف والإقتار، وحسنة بين السيئتين[٥]، والإقتار: النَّقْص من الْقدر الْكَافِي، والاقتصاد: هُوَ التَّوَسُّط بَين الْإِسْرَاف والتقتير[٦].

والفرق بين القصد والقناعة: أن القصد هو ترك الاسراف والتقتير جميعا، والقناعة الاقتصار على القليل والتقتير؛ ألا ترى أنه لا يقال هو قنوع إلا إذا استعمل دون ما يحتاج إليه، ومقتصد لمن لا يتجاوز الحاجة ولا يقصر دونها وترك الاقتصاد مع الغنى ذم وترك القناعة معه ليس بذم، وذلك أن نقيض الاقتصاد الإسراف، وقيل الاقتصاد: من أعمال الجوارح لأنه نقيض الإسراف وهو من أعمال الجوارح، والقناعة من أعمال القلوب[٧].

---

(١) **ينظر**: التعريفات، صـ٢٣، ٢٤، و التوقيف على مهمات التعاريف، صـ٥٠.

(٢) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، صـ١٧٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، ٣/ ٣٢٨.

(٥) التفسير المظهري، ٩/ ٣٤٨.

(٦) الكليات، صـ١٦٠.

(٧) معجم الفروق اللغوية، صـ صـ٤٢٩، ٤٣٠.

والعلاقة بين الإسراف والترف:

وثيقة مترابطة؛ فالسرف هو أول مظاهر الترف وأولى لبناته، والإسراف يجر حتما إلى الترف، وهو من الأخلاق التي تنهار معها أخلاق الفرد وأخلاق المجتمع.

قال الأستاذ أبو زهرة[١] في شرح حديث النبي ﷺ الذي أخرجه الحاكم في المستدرك[٢] عن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ"**: هذا الحديث يبين لنا حدود الترف وحدود الحلال؛ فحيث كان السرف وكانت المخيلة كان الترف، وحيث كانت الحدود مرعية في طلب زينة الحياة الدنيا وطعامها من غير سرف ولا مخيلة يكون الحلال".

ثم قال: الترف يؤدي إلى الإسراف، والإسراف يؤدي إلى ضياع الحقوق؛ ولذلك يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **"ما من سرف إلا ومعه حق مضيع"**[٣].

---

(١) **ينظر**: الترف وأثره في الدعاة والصالحين، د/ محمد موسى الشريف، صـ١٥ نقلا من مجلة لواء الإسلام، العدد: السادس، صـ ٣٨٢، ٣٨٦، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية- جدة، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) ٤/ ١٥٠ (٧١٨٨) كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ.

(٣) **الأثر: " ما من سرف إلا ومعه حق مضيع"** ذكره الشيخ أبو زهرة مرويا إلى سيدنا عبدالله بن عباس في تفسيره: زهرة التفاسير، ٨/ ٤٣٦٧، وذكر الجاحظ وابن قتيبة كلاما نحوه منسوبا إلى معاوية؛ حيث قال الجاحظ في البيان والتبيين، ٣/ ١٧٧، وابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار، ١/ ٤٥٤: " قال معاوية: ما رأيت سرفا قطّ إلا وإلى جانبه حقّ مضيّع".

وذكر الإمام ابن عطية كلاما نحوه منسوبا إلى الحكماء في تفسيره ٣/ ٤٥١؛ حيث قال: "وَمِنْ كَلَامِ الْحِكْمَةِ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ سَرَفًا إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَيَّعٌ، ونقله الإمام القرطبي في تفسيره، ١٠/ ٢٥١.

ثالثًا: تعريف التبذير والعلاقة بينه وبين الإسراف والترف:

التبذير مصدر القعل بذّر، وهو مأخوذ من مادّة (بَ ذَ رَ)، والْبَاءُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ نَثْرُ الشَّيْءِ وَتَفْرِيقُهُ؛ يُقَالُ: بَذَرْتُ الْبَذْرَ أَبْذُرُهُ بَذْرًا، وَبَذَّرْتُ الْمَالَ أُبَذِّرُهُ تَبْذِير؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ (١)، وَالْبُذُرُ: الْقَوْمُ لَا يَكْتُمُونَ حَدِيثًا وَلَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ... (٢).

وقال ابن منظور: ".. وبَذَرَتِ الأَرضُ تَبْذُرُ بَذْراً: خَرَجَ بَذْرُها؛ وَقَالَ الأَصمعي: هُوَ أَن يَظْهَرَ نَبْتُهَا مُتَفَرِّقًا.. والبَذْرُ والبُذارَةُ: النَّسْلُ، وَيُقَالُ: إِن هَؤُلَاءِ لَبَذْرُ سَوْءٍ، وبَذَرَ الشيءَ بَذْراً: فرَّقه. وبَذَرَ اللهُ الْخَلْقَ بَذْراً: بَثَّهُمْ وَفَرَّقَهُمْ. وَتَفَرَّقَ القومُ شَذَرَ بَذَرَ، وشِذَرَ بِذَرَ أَي فِي كُلِّ وَجهٍ، وَتَفَرَّقَتْ إِبله كَذَلِكَ؛ وبَذَرَ: إِتْباعٌ. وبُذُرَّى، فُعُلَّى: مِنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ: مِنَ البَذْرِ الَّذِي هُوَ الزَّرْعُ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلى التَّفْرِيقِ، والبُذُرَّى: الباطلُ؛ عَنِ السِّيرَافِيِّ. وبَذَّرَ مالهُ: أَفسده وأَنفقه فِي السَّرَفِ. وكُلُّ مَا فَرَّقْتَهُ وأَفسدته، فَقَدْ بَذَّرْتَهُ، وَفِيهِ بَذارَّةٌ، وبَذارَةٌ، أَي تَبْذِيرٌ؛ كِلَاهُمَا عَنِ اللِّحْيَانِيِّ. وتَبْذيرُ الْمَالِ: تَفْرِيقُهُ إِسرافًا، ورجلٌ تِبْذارَةٌ: لِلَّذِي يُبَذِّرُ مالَه وَيُفْسِدُهُ. والتَّبْذِيرُ: إِفسادُ الْمَالِ وإِنفاقه فِي السَّرَفِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾ (٣)، وَقِيلَ: التَّبْذِيرُ أَن يُنْفِقَ الْمَالَ فِي الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَبْسُطَ يَدَهُ فِي إِنفاقه حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ مَا يَقْتَاتُهُ، وَاعْتِبَارُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ (٤)؛ أَبو عَمْرٍو: البَيْذَرَةُ التَّبْذِيرُ، والنَّبْذَرَةُ، بِالنُّونِ وَالْبَاءِ: تفريقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ (٥)...".

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) مقاييس اللغة، ١/ ٢١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٥) لسان العرب، ٤/ ٥٠.

فالتبذير في الأصل يطلق على نَثْرُ الشَّيْءِ وَتَفْرِيقُهُ، **ثم يطلق** على تفريق المال في غير حقه، وبسط النفقة حتى لا يبقى ما يُقتات، وإفشاء السر وإظهار ما يُسمع، وكأنه "استعير لكلّ مضيّع لماله، فتبذير البذر: تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه"(١).

والتبذير اصطلاحًا: تفريق المال على وجه الإسراف، وقيل: هو أخذ المال من حقّه ووضعه في غير حقّه، وهو إنفاق المال فيما لا ينبغي أو في أمور لا حاجة لها؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ (٢)؛ **قال الزمخشري**: "التبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فأمر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرّب منه ويزلف"(٣).

الفرق بين التبذير والإسراف:

قال الكفويّ: **الْإِسْرَاف**: هُوَ صرف الشَّيْء فِيمَا لَا يَنْبَغِي زَائِدا على مَا يَنْبَغِي، بِخِلَاف **التبذير** فَإِنَّهُ صرف الشَّيْء فِيمَا لَا يَنْبَغِي، **والإسراف**: تجَاوز فِي الكمية، فَهُوَ جهل بمقادير الْحُقُوق، **والتبذير**: تجَاوز فِي مَوضِع الْحق، فَهُوَ جهل بمواقعها، يرشدك إِلَى هَذَا قَوْله تَعَالَى فِي تَعْلِيل الْإِسْرَاف: ﴿**إِنَّه لَا يحب المسرفين**﴾، وَفِي تَعْلِيل التبذير: ﴿**إِن المبذرين كَانُوا إِخْوَان الشَّيَاطِين**﴾ فَإِن تَعْلِيل الثَّانِي فَوق الأول(٤).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ١١٤.

(٢) **ينظر**: التوقيف على مهمات التعاريف، صـ ٩٠، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٦٣٢، ومعجم الفروق اللغوية، ص ١١٤.

(٣) الكشاف، ٢/ ٦٦١.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، صـ ١١٣.

* **قال الكرماني: "والتحقيق** أن بينهما فرقًا، وهو أن الاسراف صرف الشيء فيما ينبغي زائدا على ما ينبغي، **والتبذير** صرفه فيما لا ينبغي[١].

لقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الإسراف والتبذير قد يردان بمعنى واحد، ومن ثمّ فقد يرد أحدهما ويراد به الآخر، من ذلك ما ذكره "الماورديّ" من أنّ التّبذير هو الإسراف المتلف للمال، وروى أشهب عن مالك: أنّ التّبذير هو الإسراف، وذكر القرطبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ**﴾ قال: (معناه) "لا تسرف في الإنفاق في غير حقّ"[٢]، وقال ابن كثير في نفس الآية الكريمة: "لمّا أمر الله ﷻ بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه[٣].

وذهب بعضهم إلى التفريق بينهما؛ قال الشهاب في الفرق بينهما: " **الإسراف** تجاوز في الكمية، وهو جهل بمقادير الحقوق، **والتبذير** تجاوز في موقع الحق، وهو جهل بالكيفية وبمواقعها وكلاهما مذموم، والثاني أدخل في الذم"[٤]، وقال **البغوي**: " قال قوم الْإِسْرَافُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي الْإِنْفَاقِ، حَتَّى يدخل في حد التبذير"[٥].

والخلاصة أنّ بين الأمرين عمومًا وخصوصًا؛ إذ قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحيانا، وقد ينفرد الأعمّ وهو الإسراف[٦].

---

(١) قلت: يعني على كلامه؛ فإن من تجاوز الحد في شراء الطعام مثلا= فهو مسرف، ومن اشترى محرما كالخمر مثلا= فهو المبذر.

(٢) تفسير القرطبي، ١٠/ ٢٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ٥/ ٦٩.

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، ٦/ ٢٥.

(٥) تفسير البغوي، ٣/ ٤٥٦.

(٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، ٩/ ٤١١٥.

العلاقة بين التبذير والترف:

قلت: إذا كان الإسراف هو أول ظواهر الترف وأولى لبناته، فإن التبذير أوج ظواهره؛ فإن المترفين في البداية إذا أنفقوا فيما ينبغي زائدا على ما ينبغي، فإنهم يتعودون على الإنفاق الزائد حتى ينفقوا فيما لا ينبغي إرضاء لشهواتهم، بل يتعدى هذا إلى دفع الرشوة والمال الحرام من أجل قضاء مصالحهم؛ لأنهم تعودوا على حياة الدعة والراحة، فيصلون إلى حد التبذير، بل والبذخ والسفه.

رابعًا: تعريف البذخ والسفه باعتبارهما مظهرا من مظاهر الترف:

أ- تعريف البذخ:

مادة البذخ (بَ ذَ خَ) و الْبَاءُ وَالذَّالُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْعُلُوُّ وَالتَّعَظُّمُ؛ يُقَالُ: بَذَخَ: إِذَا تَعَظَّمَ، وَفُلَانٌ فِي بَاذِخٍ مِنَ الشَّرَفِ، أَيْ: عَالٍ[1]، والبَذَخ: **الْكِبَرُ**. والبَذَخ: تَطَاوُلِ الرَّجُلِ بِكَلَامِهِ **وَافْتِخَارِهِ**؛ بَذَخَ يَبْذَخُ ويَبْذُخُ، وَالْفَتْحُ أَعلى، بَذَخًا وبُذُوخًا. وتَبَذَّخَ: تَطَاوَلَ وَتَكَبَّرَ وفَخَر وَعَلَا. وشَرَفٌ باذِخٌ أَي **عَالٍ**، وَرَجُلٌ باذِخٌ، وَالْجَمْعُ بُذَخاءُ؛ وَنَظِيرُهُ مَا حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ مِنْ قَوْلِهِم: عَالِمٌ وَعُلَمَاءُ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَفُلَانٌ يَتَبَذَّخُ أَي يَتَعَظَّمُ وَيَتَكَبَّرُ. و البَذَخ، بِالتَّحْرِيكِ: الْفَخْرُ وَالتَّطَاوُلُ. وَالْبَاذِخُ: الْعَالِي، والباذخُ والشامخُ: الْجَبَلُ الطَّوِيلُ[2].

فالبذخ في اللغة: هو الْعُلُوُّ وَالتَّعَظُّمُ، والْكِبَرُ، والتطاول والافتخار.

وفي الاصطلاح: هو الإفراط في الترف والرفاهية، والافتخار بالكلام وبالقوة والسلطان[3].

---

(١) مقاييس اللغة، ١/ ٢١٨.

(٢) لسان العرب، ٣/ ٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ١٧٧، و تكملة المعاجم العربية، ١/ ٢٦١.

ب- تعريف السفه:

السفه: مأخوذ من مادة (س ف هـ)، والسِّينُ وَالْفَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِفَّةٍ وَسَخَافَةٍ، وَهُوَ قِيَاسٌ مُطَّرِدٌ؛ فَالسَّفَهُ: **ضِدُّ الْحِلْمِ**. يُقَالُ: ثَوْبٌ سَفِيهٌ، أَيْ رَدِيءُ النَّسْجِ. وَيُقَال: تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ، إِذَا مَالَتْ[١]، وسَفِهُتَ أحلامُهم، وسَفُهَ الرَّجلُ: صار سفيهاً، وسفه حلمه، ورأيه ونفسه، إذا حملها على أمرٍ خطأ[٢]..والسفيه: **الجاهل، الضعيفُ** الرأي، **القليلُ** المعرفة بمواضع المنافع والمضارّ[٣]، وقوله تعالى: ﴿**إِلا مَنْ سَفِهَ نَفسه**﴾، أَي: عجز رأيُهُ عَنِ النّظر لنَفسِهِ، فَضَلَّ[٤].

فالسفه في اللغة: هو الخفة والحركة والاضطراب وكلها معان توحي بالجهل والضعف، قال صاحب الكليات[٥]: "وَالسَّفِيه: من ينْفق مَاله فِيمَا لَا يَنْبَغِي من وُجُوه التبذير وَلَا يُمكن إِصْلَاحه بالتمييز وَالتَّصَرُّف فِيهِ بِالتَّدْبِيرِ، وَحَاصِل تَفْسِير السَّفِيه فِي صفة الْمُنَافِقين على مَجْمُوع اللُّغَات أَنه ظَاهر الْجَهْل، عديم الْعقل، خَفِيف اللب، ضَعِيف الرَّأْي، ردئ الْفَهم، مستخف الْقدر، سريع الذَّنب، حقير النَّفس، مخدوع الشَّيْطَان، أَسِير الطغيان، دَائِم الْعِصْيَان، ملازم الكفران، لَا يُبَالِي بِمَا كَانَ".

وفي الاصطلاح: السفه: عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل، بخلاف طور العقل، وموجب الشرع[٦].

---

(١) مقاييس اللغة، ٣/ ٧٩، ٨٠.

(٢) العين، ٤/ ٩.

(٣) تفسير الطبري، ١/ ٢٩٣.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين، ١/ ١٧٩.

(٥) الكليات، صـ ٥١٠

(٦) التعريفات، صـ ١١٩.

والسّفيه من به تلك الخفة والاضطراب، وعلى هذا المعنى يبني الفقهاء منع المال من السفيه ووجوب الحجر ونحو ذلك[١].

وفرّق صاحب التعريفات بينه وبين العته؛ فقال: **"العَتَه**: عبارة عن آفةٍ ناشئة عن الذات توجب خللًا في العقل فيصير صاحبه مختلط العقل، فيشبه بعض كلامه كلام العقلاء وبعضه كلام المجانين، بخلاف السفه؛ فإنه لا يشابه المجنون لكن تعتريه خفة؛ إما فرحًا وإما غضبًا"[٢].

والمترف إذا أسرف في ترفه وتكبر وافتخر بماله وقوته وسلطانه صار باذخا، وإذا وصل لمرحلة عدم إعمال العقل، بل وضياع الشرع في ما يملك صار سفيها لا يحسن التصرف في ملكه، فيكون خطرا على أسرته، ومن ثَمَّ المجتمع، فنجد أن الإسلام شرع الحجر عليه؛ بهدف حمايته وحماية الغير.

خامسًا: تعريف البطر والعلاقة بينه وبين الترف:

البطر: مصدر بطِرَ، ومادته (ب ط ر)، **و**الْبَاءُ وَالطَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الشَّقُّ. وَسُمِّيَ الْبَيْطَارُ لِذَلِكَ، وَيُحْمَلُ عَلَيْهَا الْبَطَرُ، وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْمَرَحِ[٣].

والبَطَرُ: النَّشَاطُ، وَقِيلَ: التَّبَخْتُرُ، وَقِيلَ: قِلَّةُ احْتِمَالِ النِّعمة، وَقِيلَ: الدَّهَشُ والحَيْرَةُ. وأَبْطَرهُ أَي أَدهشه؛ وَقِيلَ: البَطَرُ الطُّغيان فِي النِّعْمَةِ، قال تعالى: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا"[٤]، وَقِيلَ: هُوَ كَرَاهَةُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَن يَسْتَحِقَّ الْكَرَاهِيَةَ. بَطِرَ بَطَراً، فَهُوَ بَطِرٌ. والبَطَرُ: الأَشَر، وَهُوَ شِدَّةُ

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٩٥٨، ٩٥٩.

(٢) التعريفات، صـ ١٤٧.

(٣) مقاييس اللغة، ١/ ٢٦٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٨.

المَرَح. وَفِي الْحَدِيثِ: **"لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلى مَنْ جرَّ إِزَارَه بَطَراً"**[١]؛ البَطَر: الطُّغْيَانُ عِنْدَ النِّعْمَةِ وَطُولِ الْغِنَى، وَفِي الْحَدِيثِ: **الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ**[٢]؛ هُوَ أَن يَتَكَبَّرَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَقْبَلَهُ، وبَطِرَ الرجلُ وبَهِتَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَقَالَ اللَّيْثُ: البَطَرُ كالحَيْرَة والدَّهَشِ[٣].

فالبطر لغةً: الطغيان، والكفران للنعم، وعدم تقبل الحق.

واصطلاحًا: الطغيان في النعمة وترك شكرها، وهو- أيضًا- دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلّة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها[٤].

العلاقة بين البطر والترف:

إذا كان البطر طغيان وكفران للنعمة، وعدم تقبل الحق؛ فهي مرحلة متقدمة من مراحل الترف، وذلك عندما يزداد تنعم المترف بالنعمة وتلذذه بها، ويشعر بالرفاهية، قد يؤدي به في وقت من الأوقات إلى البطر؛ أي: أن الترف سبب من أسباب البطر؛ فإذا وجد البطر وجد ترف، ولا عكس بالضرورة.

وفي نهاية هذا التمهيد أود أن أكشف النقاب عن توهم ربما يعرض أثناء القراءة عن الترف وذمِّه، فربما يتوهم البعض أنه لا بد من اقتران الغِنى بالترف، فيصدر حكما بذم المال وتملكه، **فأقول**: الغنى ليس متعلقا بالترف ضرورة؛ أي: أن الغِنى قد يؤدي إلى الترف ويسوق إليه، لكن ليس ذلك حتما؛ فكم من غَنِيٍّ شاكر بعيد عن الترف مترفع عنه" فالترف صفة أخلاقية مرذولة تضاف إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: اللباس، بَابُ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ:، ٧/ ١٤١ (٥٧٨٨) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، بَابُ: تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ:، ١/ ٩٣ (٩١) .

(٣) لسان العرب، ٤/ ٧٠.

(٤) **ينظر**: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٤/ ١٥، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للنيسابوري، ٢/ ٤٦٤، و المفردات، للراغب، صـ ١٢٩.

الغنى، ومن الممكن أن يكون الإنسان غنيا ولا يكون مترفا.. والفقه الإسلامي لم يُدِن الغِنى، بل سمح به، وشرع له ما يضمن عدم إساءة استخدامه، فالمال متاع وزينة، ولكنه ضرورة حسب موازين العيش، ووسيلة من وسائل الجهاد في سبيل الله تعالى، ويكون زينة عند زيادته عن سد الحاجة الضرورية"[١].

أما عن المال وتملكه فالمال سلاح ذو حدين، ولا يمدح أو يذم لذاته، وإنما يمدح أو يذم لاعتبارات خارجة عنه؛ فقد يكون المال نعمة، وهذا في حق من كسبه من الحلال وينفقه في الحلال ويعرف حق الله تعالى فيه قال ﷺ في الحديث: **"نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ"**[٢]، وقد يكون المال نقمة كما هو الحال في حق من يكسبه من الحرام، أو ينفقه في الحرام، أو لا يراعي لله فيه حقا، فقد يكون مثل هذا المال مصدر شقاء لهذا الصنف من الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ"**[٣].

---

(١) مقال بعنوان: "الترف في المنظار القرآني"، لمحسن عطوي، نشر في مجلة المنطلق اللبنانية، العدد: ٣٦، سنة ١٩٨٧م، صـ ٥٠، ٥١.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ذِكْرُ الْإِبَاحَةِ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَجْمَعُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ إِذَا قَامَ بِحُقُوقِهِ فِيهِ، ٨/ ٦ (٣٢١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ٤/ ٣٤ ح رقم (٢٨٨٧).

المبحث الأول: الترف في أسلوب القرآن الكريم

لا يوجد في القرآن من مادة الترف إلا الفعل (أترف) للفاعل والمفعول واسم المفعول منه، وكلها بمعنى الاتساع في التنعم بنعم الدنيا[١]؛ أي: أن معنى الترف في القرآن الكريم مرتبط تمام الارتباط بالمعنى اللغوي، وهو التنعم بملذات الدنيا وشهواتها والتوسع فيها، والانغِماس في الحياة ومُجاوزة حدِّ الاعتدال في التعامُل مع النِّعَم، وبذلُ الجُهد لبُلوغ الغاية في حاجات اللَّذَّات الحسِّيَّة، مهما كانت الوسَيلة، ثم تكون النتيجة الحتمية- في الغالب- عدم اتعاظ المترفين بَهَدْى؛ فيضلوا ويضلوا غيرهم، بل يظلمون، ويقفون في مواجهة كل هدى؛ مما يترب على ذلك هلاك المجتمعات.

وهذا ما نراه واضحا في الأسلوب القرآني؛ حيث ورد لفظ الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها على **سبيل الذم**، وردت مادة الترف بصيغة **الفعل الماضي ثلاث مرات، وبصيغة اسم المفعول خمس مرات، وتتضح المعاني السابقة من خلال هذه الآيات كما يلي:**

أولاً: ربط الترف بالفسق وعدم الهداية:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[٢]؛ أي: إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بهلاك أيّ قرية بعذاب الاستئصال، لما ظهر منها من المعاصي، ودنّست به أنفسها من الآثام، لم نعاجلها بالعقوبة، بل نأمر مترفيها بالطاعة؛ فإذا فسقوا عن أمرنا وتمرّدوا حقّ عليهم العذاب جزاءً وفاقًا لاجتراحهم السيئات، وارتكابهم كبائر الإثم والفواحش، فدمرنا تلك القرية تدميرًا، لم يبق منها ديّارًا ولا نافخ نار، وخص المترفين بالذكر لما

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، ١/ ٢٠٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

جرت به العادة أن من سواهم يكون تبعًا لهم، وأن العامة والدهماء يقلّدونهم فيما يفعلون، ولأنهم أسرع إلى الفجور، وأقدر على الوصول إلى سبله[١].

ثانيًا: ربط الترف بالظلم والسكوت عن الفساد في الأرض: .

قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [٢]؛ أي: فَهَلَّا وُجِدَ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ والرأي والعقل، يَنْهَوْنَ عَمَّا كان يقع بينهم من الشُّرُورِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إلا قَلِيلا قَدْ وُجِدَ مِنْهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْجَاهُمُ اللهُ عِنْدَ حُلُولِ غِيَرِه، وَفَجْأَةِ نِقَمه، واسْتَمَرَّ الذين ظلموا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِنْكَارِ أُولَئِكَ، حَتَّى فَجَأهم العذابُ، وَكَانُوا مُجْرِمِينَ كافرين[٣].

قال الإمام البيضاوي: "كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فشو الظلم فيهم، واتباعهم للهوى، وترك النهي عن المنكرات مع الكفر"[٤].

ثالثًا: ربط الترف بمواجهة الهداية، والدعوة إلى كل ما هو ضد الاستقامة، وتقليد السابقين دون فهم ووعي.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [٥]؛ **أي:** وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ رسول، أو نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا إِلَّا قالَ

---

(١) تفسير المراغي، ١٥/ ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) **ينظر**: تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦٠، ٣٦١، وتفسير البيضاوي، ٣/ ١٥١، ١٥٢.

(٤) تفسير البيضاوي، ٣/ ١٥٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٤.

متنعّموها، ورؤساؤها وأُولُو النِّعْمَةِ وَالْحِشْمَةِ وَالثَّرْوَةِ والرياسة: إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ فلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَتَّبِعُهُ، وليس في ذلك من عجيب، فإن المنغمسين في الشهوات يحملهم التكبر والتفاخر بزينة الحياة الدنيا على النفور من الكمال الروحي، ومن تثقيف النفوس بالإيمان والحكمة، فالضدان لا يجتمعان، انغماس في الشهوة، وعلم وحكمة، وثروة مادية وثروة روحية.

وهذه تسليةٌ لرسول ﷺ مما لقي من رؤساء قومه من التكذيب، والكفر بما جاء به، وأنه لم يرسل قطّ إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهلُ مكة، وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي إلى التكبُّر، وعدم الخضوع للغير هو الانهماك في الشهوات، والاستهانة بمَن لم يحظَ بها، جهلاً[(١)].

وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[(٢)]؛ أي: والأمرُ كما ذُكِرَ منْ عجزِهم عن الحجةِ وتشبّثهم بذيلِ التقليدِ، ما أرسلنا نبيا مخوفا من قبلك إلى أهل قرية إلا قال من يحبون الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق قولا مثل قول قومك: ﴿**إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا**﴾ على طريقة تستحق أن تقصد، وَإِنَّا عَلى أعمالهم متبعون؛ فكما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بطريق التقليد المذموم، وهو استئنافٌ مبينٌ لذلكَ دال على أن التقليدَ فيما بينهم ضلالٌ قديمٌ ليسَ لأسلافِهم أيضاً سندٌ غيرُه، وتخصيصُ المُترفينَ بتلكَ المقالةِ للإيذانِ بأن التنعمَ وحبّ البطالةِ هو الذي صَرَفهُم عن النظرِ إلى التقليدِ[(٣)].

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير، ٦/ ٥٢١، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٤/ ٤٩٩، وتفسير المراغي، ٢٢/ ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٣) **ينظر**: تفسير أبي السعود، ٨/ ٤٤، وتفسير الجلالين، صـ ٦٤٩، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ٢/ ٣٨٢.

رابعًا: ارتباط الترف بمناهضة الرسل، وتوهين أمرهم وتحقير شأنهم، وتكذيب التكليفات الأخلاقية الواردة في رسالاتهم، ودعوة الناس إلى ذلك:

قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ [(١)]؛ أي: وقال الأشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور من قوم نبي الله هود أو صالح، الذين غطوا ما يعرفون من أدلة التوحيد والانتقام من المشركين، وكذبوا بلقاء الآخرة؛ لتكذيبهم بالبعث، ونعمناهم في الحياة الدنيا الدانية الدنيئة، بالأموال والأولاد وكثرة السرور لأتباعهم: ﴿**مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ في الخلق والحال، ﴿**يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ**﴾ من طعام الدنيا، ﴿**وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ من شرابها فكيف يكون رسولاً دونكم! فقد أشاروا إليه تحقيراً له عند المخاطبين، ووصفوه بما يوهم المساواة في كل وصف، وكأنهم يرون- لغبائهم وانطماس عقولهم- أن الرسول لا يكون من البشر، أو يرون جواز كونه من البشر، إلا أنهم قالوا ذلك على سبيل المكر ليصدوا أتباعهم وعامة الناس عن دعوته.

فالله - تعالى - وصف هؤلاء الجاحدين بالغنى والجاه، وأنهم من قوم هذا النبي فازداد حسدهم له وحقدهم عليه، وأنهم أصلاء في الكفر، وفي التكذيب باليوم الآخر، وأنهم- فوق كل ذلك- من المترفين الذين عاشوا حياتهم في اللهو واللعب والتقلب في ألوان الملذات.. ولا شيء يفسد الفطرة، ويطمس القلوب، ويعمى النفوس والمشاعر عن سماع كلمة الحق. كالترف والتمرغ في شهوات الحياة؛ لذا تراهم في شبهتهم الأولى يحاولون أن يصرفوا الناس عن هذا النبي، بزعمهم أنه بشر، يأكل مما يأكل منه الناس، ويشرب مما يشربون منه، والعقلاء في زعمهم- لا يتبعون نبيّا من البشر، لأن اتباعه يؤدى إلى الخسران المبين[(٢)].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٢) **ينظر**: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣/ ١٣٨، ١٣٩، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٠/ ٣١، ٣٢.

خامسًا: علاقة الترف باستحقاق العذاب من الله لعدم الاتعاظ بالهدى واستحقاق الهلاك لذلك:

قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾ (١)؛ أي: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه، إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى، يَعْدُون منهزمين، ثم قِيلَ لَهُمْ: لَا تهربوا لا تذهبوا، ﴿**وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ**﴾ من العيش الرأفة والحال الناعمة، ﴿**وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ**﴾ عَنْ قَتْلِ نبيكم، أو من دنياكم شيئًا(٢).

قال الزمخشري: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، **أو** ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم، وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدّمين؟ **أو** يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم، **أو** يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم، وتوبيخا إلى توبيخ(٣).

وقال سبحانه: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾ (٤)؛ أي: حتى إِذَا أَخَذْنَا متنعميهم و أغنيائهم وكبرائهم بعذاب الدنيا وهو القحط سبع

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) **ينظر**: تفسير الطبري، ١٨/ ٤١٧، و تفسير البغوي، ٣/ ٢٨٤.

(٣) الكشاف، ٣/ ١٠٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

سنين حين دعا عليهم النبى ﷺ، أو قتلهم يوم بدر، إذا هم يصرخون استغاثة ويصيحون؛ فيقال لهم: لا تجأروا اليوم فإن الجؤار غير نافع لكم إِنَّكُمْ لا يلحقكم نصر ومعونة؛ أي: إن الجؤار لا ينفعهم، لَا نُجِيرُكُمْ مِمَّا حَلَّ بِكُمْ، سَوَاءٌ جَأَرْتُمْ أَوْ سكتُّم، لَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا وَزَرَ لَزِمَ الْأَمْرُ وَوَجَبَ الْعَذَابُ[(١)].

وتخصيص المترفين بأخذ العذاب، ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضًا لغاية ظهور انعكاس حالهم، وأيضًا إذا كان لقاؤهم هذه الحالة الفظيعة ثابتًا واقعًا، فما ظنك بحال الأصاغر والخدم[(٢)].

وقال ﷻ: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ. فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾ [(٣)].

قال الإمام أبو السعود: " ﴿**وأصحاب الشمال**﴾ شروعٌ في تفصيلِ أحوالِهم التي أُشير عند التنويعِ إلى هولِها وفظاعتِها بعدَ تفصيلِ حسنِ حالِ أصحابِ اليمينِ، ﴿**فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ**﴾ والسَّمومُ حرٌّ نارٍ ينفذُ في المسام والحميم الماء المُتناهِي في الحرارةِ، ﴿**وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ**﴾ منْ دُخانٍ أسودَ بهيمٍ، ﴿لا باردٍ﴾ كسائر الظلام ﴿**وَلاَ كَرِيمٍ**﴾ فيه خير ما في الجملة سُمِّيَ ذلكَ ظلاً ثم نُفى عنه وصفاهُ البردُ والكرمُ عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيقِ أنه ليس بظلَ، وقولُه تعالى ﴿**إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾ تعليلٌ لابتلائِهم بما ذُكِرَ من العذابِ، أي: إنَّهم كانُوا قبلَ ما ذُكر من سُوءِ العذابِ في

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير، ٥/ ٤٨٢، وتفسير النسفي، ٢/ ٤٧٣، ٤٧٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٥٣، ٥٤.

(٢) روح البيان، ٦/ ٩٢.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٤١: ٤٥.

الدُّنيا منعّمينَ بأنواعِ النعمِ من المآكلِ والمشاربِ والمساكنِ الطيبةِ والمقاماتِ الكريمةِ منهمكينَ في الشهواتِ فلا جرمَ عُذبُوا بنقائضِها[١].

وفي نهاية هذا المبحث أود أن أسجل النقاط الآتية:

النقطة الأولى: أن الآيات القرآنية التي تكلمت عن الترف والمترفين كلها آيات موجودة في سور مكية؛ وهذا يبين الحالة التي كان عليها العرب في العهد المكي للدعوة الإسلامية، وأنهم كانوا غارقين في الترف الذي يطغي ويهلك، حتى إن القرآن الكريم قصَّ القصص في نهاية الأمم السابقة التي أغرقها الترف، وأهلكها؛ حتى يرتدعوا، ولكن دون جدوى.

وأما العهد المدني، فكانت قد استقرت التشريعات، واعتبر الموجودون بنهاية الأمم السابقة، فحتى مع وجود الغَنِيِّ كسيدنا عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، إلا إنهم كانوا يعرفون طبيعة المال، وحقيقته، وموضعه الشرعي الحقيقي.

النقطة الثانية: المترفون في القرآن الكريم ظلموا أنفسهم بفسقهم وخروجهم عن حدود الله، وعدم اهتدائهم بهدي الأنبياء، وسكوتهم عن الفساد في الأرض، وكان تعليلهم واهيا وهو التقليد للسابقين دون وعي وبصيرة، ثم ازدادوا ظلما لنفسهم ولغيرهم عندما وقفوا أمام الرسل، وحقَّروا من شأنهم، وأمروا أتباعهم أن لا ينقادوا لأوامر هؤلاء الرسل- عليهم الصلاة والسلام - وكانت النتيجة الحتمية استحقاقهم بالهلاك، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

النقطة الثالثة: أن المواضع كلها جاءت في موضع الذم للترف، والتحذير منه ومن أهله، وبيان صفاتهم وجزائهم، وسأتكلم بشيء من التفصيل عن صفات المترفين وجزائهم في المبحثين الآتيين - بمشيئة الله -.

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨/ ١٩٤، ١٩٥.

المبحث الثاني: صفات المترفين وسلوكهم في القرآن الكريم

إن القارئ لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المترفين، يجد أن لهم صفات معينة، هذه الصفات تؤدي بهم إلى سلوك متغير عن غيرهم، ومن هذه الصفات المذمومة، وتلك السلوكيات الشائنة:

١- الكبر والتباهي والغرور الذي أدى بهم إلى التمرد على أحكام شرع الله:

من أخلاق المترفين: الكبر، وَالْكِبْرُ: الْعَظَمَةُ والتَّجَبُّر[(١)]، وهو بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(٢)]؛ أي: دفع الحق وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، واحتقار الناس[(٣)]، وقال الشيخ الخطيب الشربيني: "ومعنى بطر الحق أنه يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله، ومعنى غمص الناس استنقاصهم وازدراؤهم"[(٤)].

فالمترفون يتكبرون على الناس ويتعظمون، ولا يقبلون النصح ولا الموعظة، ويؤدي بهم الكبر والغرور إلى التمرد على رسل الله، ولا يقبلون الحق منهم، ثم يتمردون على أحكام الشرع التي نادي بها هؤلاء الرسل - عليهم السلام -.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٥٤، و تاج العروس من جواهر القاموس، ١٤/ ٨.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ٩٣.

(٣) **ينظر:** صحيح مسلم بشرح الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ١/ ٩٣، و فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ١/ ٣٠١.

(٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ٢/ ٢٢٥.

* ومن الآيات القرآنية التي تبين أن الكبر من صفات المترفين، والذي تسبب مع غيره من الصفات في هلاكهم، قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ**﴾ [(١)].

هذه الآيات الكريمة، تصور حسرة المشركين وجؤارهم يوم ينزل بهم العذاب تصويرا بديعا، كما تبين ما كانوا عليه من تكبر وغرور وسوء أدب، مما جعلهم أهلا لهذا المصير الأليم؛ **قال الإمام النسفي**: " ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ**﴾ متكبرين على المسلمين حال من (تنكصون) ﴿**بِهِ**﴾ بالبيت أو بالحرم؛ لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد، لأنا أهل الحرم، والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي؛ لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً، ضُمن مستكبرين معنى مكذبين، فعدى تعديته أو يتعلق الياء بقوله ﴿**سَامِرًا**﴾ تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعراً وسحراً والسامر نحو الحاضر فى الإطلاق على الجمع أو بقوله ﴿تَهْجُرُونَ﴾ وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من أهجر في منطقه إذا أفحش"[(٢)].

* ونجد الكبر ورفض الحقّ واضحًا جليًّا في مقابلة الملأ المترفين لدعوة رسلهم وأنبيائهم.

- **فعن رد الملأ المترفين المستكبرين علي سيدنا هود أو صالح**؛ قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ**

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٦٤: ٦٧.

(٢) **ينظر**: تفسير النسفي، ٢/ ٤٧٤.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [(١)].

ففي هذه الآيات يظهر سلوك التمرد عند الملأ المترف، وكيف أنهم استقبلوا دعوة نبيهم لا بالطاعة والإذعان، ولكن بالرفض والإنكار والتكذيب؛ **قال الإمام القرطبي**: "قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** أَيْ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ. **﴿قَرْناً آخَرِينَ﴾** قِيلَ: هُمْ قَوْمُ عَادٍ. **﴿فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾** يَعْنِي هُودًا، لِأَنَّهُ مَا كَانَتْ أُمَّةٌ أُنْشِئَتْ فِي إِثْرِ قَوْمِ نُوحٍ إِلَّا عَادٌ. وَقِيلَ: هُمْ قَوْمُ ثَمُودَ" فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا" يَعْنِي صَالِحًا. قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى آخِرَ الآية: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾** [(٢)]، نظيرها: " وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ"[(٣)]، قُلْتُ: وَمِمَّنْ أُخِذَ بِالصَّيْحَةِ أَيْضًا أَصْحَابُ مَدْيَنَ قَوْمُ شُعَيْبٍ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونُوا هُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ." مِنْهُمْ" أَيْ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ، يَعْرِفُونَ مولده ومنشأه ليكون سكونهم إلى قوله أكثر. (وَقالَ الْمَلَأُ) أَيِ: الْأَشْرَافُ وَالْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ. (مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ) يُرِيدُ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. **﴿وَأَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾** أَيْ وَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ نِعَمَ الدُّنْيَا حَتَّى بَطِرُوا وَصَارُوا يُؤْتَوْنَ بِالتُّرْفَةِ، وَهِيَ مِثْلُ التُّحْفَةِ. **﴿**مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾** فَلَا فَضْلَ لَهُ عَلَيْكُمْ لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَأَنْتُمْ"[(٤)]..

وقال ابن جزي: "يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيّ من البشر، أو **قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم،** وكذلك قال قوم نوح"[(٥)].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٣١: ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤١.

(٣) سورة هود، الآية: ٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ١٢١.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٥١.

فالله – تعالى– وصف هؤلاء الجاحدين بالغنى والجاه، وأنهم من قوم هذا النبي فازداد حسدهم له وحقدهم عليه، وأنهم أصلاء في الكفر، وفي التكذيب باليوم الآخر، وأنهم– فوق كل ذلك– من المترفين الذين عاشوا حياتهم في اللهو واللعب والتقلب في ألوان الملذات.. ولا شيء يفسد الفطرة، ويطمس القلوب، ويعمى النفوس والمشاعر عن سماع كلمة الحق. كالترف والتمرغ في شهوات الحياة؛ لذا تراهم في شبهتهم الأولى يحاولون أن يصرفوا الناس عن هذا النبي، بزعمهم أنه بشر، يأكل مما يأكل منه الناس، ويشرب مما يشربون منه، والعقلاء في زعمهم– لا يتبعون نبيّا من البشر، لأن اتباعه يؤدى إلى الخسران المبين، ولقد نهجوا في قولهم الباطل هذا، نهج قوم نوح من قبلهم، فقد قالوا في شأنه: ﴿ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ...﴾ (١).

*وعن رد الملأ المترفين المستكبرين علي سيدنا نوح – عليه السلام –؛ قال الله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ (٢)؛ أي: قال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بمَلَك ولكنك بشر، فكيف أُوحي إليك مِن دوننا؟ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أسافلنا وإنما اتبعوك من غير تفكر ولا رويَّة، وما نرى لكم علينا من فضل في رزق ولا مال لـمَّا دخلتم في دينكم هذا، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تدَّعون؛ قال الإمام ابن كثير: ﴿**فَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ**﴾ وَالْمَلَأُ هُمَ: السَّادَةُ وَالْكُبَرَاءُ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ: ﴿**مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا**﴾ أَيْ: لَسْتَ بِمَلَكٍ، وَلَكِنَّكَ بَشَرٌ، فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ دُونِنَا؟ ثُمَّ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا أَرَاذِلُنَا كَالْبَاعَةِ وَالْحَاكَةِ وَأَشْبَاهِهِمْ وَلَمْ يَتْبَعْكَ الْأَشْرَافُ وَلَا الرُّؤَسَاءُ [مِنَّا]، ثُمَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ تَرَوّ مِنْهُمْ وَلَا فِكْرَةٍ وَلَا نَظَرٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ مَا دَعَوْتَهُمْ

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ. د/ محمد سيد طنطاوي، ١٠/ ٣٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

أَجَابُوكَ فَاتَّبَعُوكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾ أَيْ: فِي أَوَّلِ بَادِئِ الرَّأْيِ، ﴿**وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ**﴾ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا فَضِيلَةً فِي خَلْق وَلَا خُلُق، وَلَا رِزْقٍ وَلَا حَالٍ، لَمَّا دَخَلْتُمْ فِي دِينِكُمْ هَذَا، ﴿**بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ أَيْ: فِيمَا تَدَّعونه لَكُمْ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ، وَالسَّعَادَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ إِذَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا.

هَذَا اعْتِرَاضُ الْكَافِرِينَ عَلَى نُوحٍ -عليه السلام-، وَأَتْبَاعِهِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَى الْحَقِّ رَذَالة مَنِ اتَّبَعَهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ صَحِيحٌ، وَسَوَاءٌ اتَّبَعَهُ الْأَشْرَافُ أَوِ الْأَرَاذِلُ بَلِ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ أَتْبَاعَ الْحَقِّ هُمُ الْأَشْرَافُ، وَلَوْ كَانُوا فُقَرَاءَ، وَالَّذِينَ يَأْبَوْنَهُ هُمُ الْأَرَاذِلُ، وَلَوْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ، ثُمَّ الْوَاقِعُ غَالِبًا أَنَّ مَا يَتَّبِعُ الْحَقَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَالْغَالِبُ عَلَى الْأَشْرَافِ وَالْكُبَرَاءِ مُخَالَفَتُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ "[1].

ومن نتائج كبرهم وغرورهم -أيضًا-:

أ- رفضهم عقيدة التوحيد:

ما من رسول إلا دعا قومه إلى توحيد الخالق ﷻ وإفراده بالعبودية. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [2]، ومن خلال تتبع قصص الأنبياء في القرآن الكريم نجد أن المترفين هم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، وهم الملأ الذين يتولون معارضة الرسل، كما ورد في آيات كثيرة من القرآن.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ**

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣١٦.والآية رقم ٢٣ من سورة الزخرف.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ . أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [١].

أي: وعجب المشركون من بعثة محمد - ﷺ - واستبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر، وقال كفار مكة: إن محمداً ساحرٌ فيما يأتي به من المعجزات ﴿**كَذَّابٌ**﴾ مبالغ في الكذب في دعوى أنه رسول الله، أيزعم أن الربَّ المعبود واحد لا إله إلا هو؟ إنَّ هذا الذي يقوله محمد إن الإله واحد شيء بليغٌ في العجب[٢].

قال ابن كثير: أَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ -قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى-وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشِّرْكِ بِاللهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى خَلْعِ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِفْرَادِ الإِلَهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ **أَعْظَمُوا ذَلِكَ وَتَعَجَّبُوا** وَقَالُوا: "أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ"[٣].

وانطلق أشراف قريش ورؤساء الضلال فيهم، وخرجوا من عند الرسول - ﷺ - يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوكم إليه من عبادة الله الواحد الأحد؛ إنَّ هذا أمرٌ مدبَّر، يريد من ورائه محمد أن يصرفكم عن دين آبائكم لتكون له العزة والسيادة عليكم، فاحذروا أن تطيعوه؛ فما سمعنا بمثل هذا القول في ملة النصرانية التي هي آخر الملل، أو دين قريش أي ليس هذا في الدين الذي أدركنا عليه آبائنا ﴿**إِنْ هذا إِلاَّ اختلاق**﴾ أي ما هذا الذي يدعيه محمد إلا كذب وافتراء، ثم أنكروا اختصاصه عليه السلام بالوحي من بينهم فقالوا ﴿أَأُنزِلَ

---

(١) سورة ص، الآيات: ٤: ٨.

(٢) صفوة التفاسير، ٣/ ٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ٧/ ٥٣.

عَلَيْهِ الذكر مِن بَيْنِنَا﴾؟ الاستفهام للإنكار أي: هل تنزَّل القرآن على محمد دوننا، مع أن فينا من هو أكثر منه مالاً، وأعلى رياسةً؟ (١).

قال الزمخشري: "أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم، .. وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوّة من بينهم"(٢).

﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي**﴾ إضرابٌ عن مقدر تقديره: إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه فلذلك كفروا ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ اضراب انتقالي وغرضه التهديد والمعنى: سبب شكهم أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به(٣).

ب- رفضهم الرسالات:

رفض المترفون قبول رسلهم، وأخذوا يشكّكون فيهم، وفي أصل رسالتهم ونبوّتهم من الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ (٤).

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ غَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَقَالَ بِهَا فَقَالَ: ﴿**وَكَذلِكَ مَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها**﴾ أَغْنِيَاؤُهَا وَرُؤَسَاؤُهَا، إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ

---

(١) صفوة التفاسير، ٣/ ٤٦، ٤٧.

(٢) الكشاف، ٤/ ٧٤.

(٣) صفوة التفاسير، ٣/ ٤٧.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ ﴿مُقْتَدُونَ﴾ مُتَّبِعُونَ، ثُمَّ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ أَيْ: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِدِينٍ أَهْدَى مِنْ دِينِ آبَائِكُمْ، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى قُلْ لَهُمْ أَتَتَّبِعُونَ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ وَإِنْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِنْهُ، قالوا في عناد: إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون[1].

جـ- رفضهم عقيدة البعث:

رفض المترفون الإقرار والإذعان بعقيدة البعث بعد الموت، واستهزءوا برسولهم فيما قال، وواجهوا هذه العقيدة بالسخرية.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾[2].

من الأمور التي استحق بها أهل الشمال دخول النار- والعياذ بالله- أنهم كانوا في الدنيا قبل ما ذُكِر من العذاب متبعين هوى أنفسهم وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره وارتكاب نواهيه - سبحانه ﷻ -، وما عاشوا فيه من بطر وطغيان، وكانوا يصمِّمون بل ويقيمون ويداومون على الذنب العظيم والكبائر كالشرك، وقيل: الحنث اليمين الغموس، وظاهره الإطلاق ليعم كل ذلك، وما ذكر تمثيل له، وقال التاج السبكي في طبقاته[3]: سَأَلت الشَّيْخ الإِمَام- يعنى والده تقي الدّين -: مَا الْحِنْث الْعَظِيم الْمشَار إِلَيْهِ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿**وَكَانُوا يصرون على الْحِنْث الْعَظِيم**﴾: فَقَالَ

---

(١) فتح القدير، ٤/ ٦٣١، ٦٢٣، والتفسير الميسر، صـ٤٩١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٤١: ٥٠.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ٢٨٢.

هُوَ الْقسم على إِنْكَار الْبَعْث الْمشَار إِلَيْهِ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ**﴾ (١)، **قال الشهاب:** وهو تفسير حسن؛ لأن الحنث وإن فُسِّر بالذنب مطلقًا أو العظيم منه فالمشهور استعماله في عدم البر بالقسم، وتُعُقِّب هذا بأنه يترتب عليه التكرار في قوله - تعالى -: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا مِتْنَا ...**﴾ الآية، وأجيب بأنه لا تكرار؛ لأن المراد بالأول في قوله تعالى: ﴿**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ**﴾ وصفهم بالثبات على القسم الكاذب وبالثاني في قوله - تعالى -: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا**﴾ إلخ - وصفهم بالاستمرار على الإنكار على أنه لا محذور في تكرار ما يدل على إنكارهم البعث.

وكانوا يقولون - منكرين للإعادة مكذبين بالبعث مستبعدين لحصوله -: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا**﴾ وكان بعض أجزائنا ترابًا وبعضها عظامًا نخرة أئنا لعائدون إلى الحياة مرة أخرى ونبعث، إن هذا لمستبعد وقوعه ولا يمكن حصوله وحدوثه، ثم قالوا: أو يبعث - أيضًا - آباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابًا متفرقًا في الأرض - يقولون ذلك زيادة في الاستبعاد لحصول البعث يعنون أن آبائهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل.

قل لهم يا محمد: ردًّا لإنكارهم وتحقيقا للحق: إن الأولين والآخرين من الأمم ومن جملتهم أنتم وآباؤكم لمجموعون بعد البعث إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة، ومعنى كونه معلومًا: أنه معيّن عند الله، والميقات: ما وُقِّت به الشيء أي: حُدّ ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا مُحْرما والمعنى: لمجموعون منتهين إلى ذلك اليوم، وتقديم

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٨.

الأولين في قوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ**﴾ للمبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشدّ من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي(١).

ومن أسباب كبرهم وغرورهم -أيضًا-:

افتخارهم بالنفر والجاه:

مما درج عليه المترفون في حياتهم افتخارهم بالنفر والجاه، والاستعلاء بهما على الناس، وهذا أمر مطرد بين كل الأمم المترفة؛ قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾(٢).

قال الإمام أبو حيان: " ﴿**وَما أَرْسَلْنا..**﴾ الْآيَةَ: هَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّا مُنِيَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ قُرَيْشٍ، مِنَ **الْكُفْرِ وَالِافْتِخَارِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**، وَأَنَّ مَا ذَكَرُوا مِنْ ذَلِكَ هُوَ عَادَةُ الْمُتْرَفِينَ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ أمرهم...وَنَصَّ عَلَى الْمُتْرَفِينَ؛ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ، لِمَا شُغِلُوا بِهِ مِنْ زَخْرَفَةِ الدُّنْيَا وَمَا غَلَبَ عَلَى عُقُولِهِمْ مِنْهَا، فَقُلُوبُهُمْ أَبَدًا مَشْغُولَةٌ مُنْهَمِكَةٌ بِخِلَافِ الْفُقَرَاءِ، فَإِنَّهُمْ خَالُونَ مِنْ مُسْتَلَذَّاتِ الدُّنْيَا، فَقُلُوبُهُمْ أَقْبَلُ لِلْخَيْرِ، وَلِذَلِكَ هُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ.."(٣).

---

(١) **ينظر:** حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، ٨/ ١٤٣، ١٤٤، ومحاسن التأويل، ٩/ ١٢٤، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٩/ ١٢٥٥، ١٢٥٦.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ٣٤: ٣٧.

(٣) تفسير البحر المحيط، ٨/ ٥٥٤.

وقال الإمام ابن كثير: " وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمُتْرَفِينَ الْمُكَذِّبِينَ: ﴿**وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ أَيِ: افْتَخَرُوا بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ لَهُمْ وَاعْتِنَائِهِ بِهِمْ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُعْطِيَهُمْ هَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهَيْهَاتَ لَهُمْ ذَلِكَ. قَالَ اللهُ: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [(١)]، وَقَالَ: ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [(٢)]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**﴾ [(٣)]، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ صَاحِبِ تَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ: أَنَّهُ كَانَ ذَا مَالٍ وَوَلَدٍ وَثَمَرٍ، ثُمَّ لَمْ تُغن عَنْهُ شَيْئًا، بَلْ سُلب ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ أَيْ: يُعْطِي الْمَالُ لِمَنْ يُحِبُّ ومَنْ لَا يُحِبُّ، فَيُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُغْنِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ الْقَاطِعَةُ ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ . ثُمَّ قَالَ: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى**﴾ أَيْ: لَيْسَتْ هَذِهِ دَلِيلًا عَلَى مَحَبَّتِنَا لَكُمْ، وَلَا اعْتِنَائِنَا بِكُمْ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إن اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ "**[(٤)]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ أَيْ: إِنَّمَا يُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ١١: ١٧.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَان، بِهِ. صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، ٤/ ١٩٨٧ (٢٥٦٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: القناعة، ٢/ ١٣٨٨ (٤١٤٣) .

الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، ﴿**فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا**﴾ أَيْ: تُضَاعِفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ﴿**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾ أَيْ: فِي مَنَازِلِ الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ آمَنُونَ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ وَخَوْفٍ وَأَذًى، وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ يُحْذَر مِنْهُ[١].

والمتمعن فيما سبق يعرف أن السبب الرئيس للتكذيب من قبل المترفين لأنبيائهم، ألا وهو خوفهم من زوال النعم والشهوات التي نعّموا بها، من قبيل كثرة الأموال والأولاد، واستعلاؤهم بما آتاهم الله من فضله ونعمائه، حيث اعتقدوا أنّ الفيصل في المفاضلة بين الناس هو الثروة .

وبناء على ما سبق نجد تكبرا وغرورا وافتخارا وتعاليا من بعض المترفين في المجتمع، وخاصة على من يسدي لهم النصائح كالدعاة والوعاظ وأقربائهم الذين يريدون لهم الخير، فلا يسمعون ولا ينتصحون.

وقد ذم الله الكبر في كتابه والنبي ﷺ في سنته؛قال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [٢].

قال الإمام النسفي $: " ﴿**سأصرف عن آياتي**﴾ عن فهمها ﴿**الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ**﴾ يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق وحقيقته التكلف للكبرياء التى اختص بالباري عزت قدرته ﴿**فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ هو حال، أى: يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ**﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿**لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ**﴾ طريق صلاح الأمر وطريق الهدى ﴿**لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغي**﴾ الضلال ﴿**يتخذوه سبيلا**﴾ أي: ذلك الصرف

---

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٥٢١، ٥٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتنا﴾ يبسبب تكذيبهم ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غافلين﴾ غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل"[١].

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢].

قال الإمام ابن عجيبة: " كل من طُرد وأُبعد عن ساحة رحمة الله تعالى والوصول إليه، فإنما سببه التكبر والعلو، وكل من قرب ووصل إلى الله فإنما سببه التواضع والحنو"[٣].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين عدم حب الله للمستكبرين والمتكبرين، وعقوبتهم الشديدة في الآخرة.

٢- الحرص على الشهوات والمتع الدنيوية الزائلة:

من أخلاق المترفين التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، الحرص على الشهوات والمتع الدنيوية الزائلة والزينة، **والحرص**: هو الْجَشَعُ وَالْإِفْرَاطُ فِي الرَّغْبَةِ[٤]؛ فأهل الترف عندهم جشع شديد، وإفراط في الشهوات والمتع، فهم يؤثرون الشهوات والمتع في الدنيا على الآخرة، ولذلك عندما يدعون إلى الإنفاق أو الجهاد يكونون مع الخوالف- لشدة حرصهم على الدنيا-؛ فالحرص الشديد على الدنيا وشهواتها ومتعها، يجعل الإنسان يجبن ويضعف، وهذه صفة من صفات

---

(١) تفسير النسفي، ١/ ٦٠٤، ٦٠٥.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ٩٣.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ٣/ ٥٧٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٠.

المنافقين؛ الذين قال الله فيهم: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

فقوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ﴾ استئناف تعليلي مسبوق لمزيد مذمة هؤلاء الذين يملكون وسائل الجهاد من قوة ومال؛ **أي**: استأذنوك في القعود مع غناهم وقدرتهم على القتال، لأنهم لخلو قلوبهم من الإيمان، ولسقوط همتهم وجبنهم، رضوا لأنفسهم أن يقبعوا في المدينة مع الخوالف من النساء والصبيان والعجزة، وبسبب هذا الإصرار على النفاق، والتمادي في الفسوق والعصيان، ختم الله- تعالى- على قلوبهم، فصارت لا تعلم ما يترتب على ذلك من مصائب دينية ودنيوية وأخروية(٢).

قال الله عن المترفين وحرصهم على شهوات الدنيا ومتعها: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٣)؛ قال الإمام الطبري: إن الله أخبر -تعالى ذكره-: أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله"(٤).

فهؤلاء المترفون صُب عليهم النعمة صبًا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات(٥)، بدلا من أن يجعلوها سبيلا لطاعة الله، حتى فاجأهم العذاب ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؛ فالعقول السليمة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٢) التفسير الوسيط، د/ طنطاوي، ٦/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٤) تفسير الطبري، ١٥/ ٥٢٩.

(٥) تفسير الكشاف، ٢/ ٦٥٤.

كافية لفهم ما فى دعوة الرسل من الخير والصلاح لو لم يمنع استعمال هدايتها الافتتان بالترف والنعيم بدلا من القصد والاعتدال فيه وشكر المنعم عليه، وقد هدت التجارب إلى أن الترف هو الباعث على الفسوق والعصيان والظلم والإجرام، ويظهر ذلك أول ما يظهر فى الرؤساء والسادة، ومنهم ينتقل إلى الدهماء والعامة فيكون ذلك سببا فى الهلاك بالاستئصال، أو فى فقد العزة والاستقلال، وتلك هى سنة الله فى خلقه كما قال: ﴿**وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً**﴾ "[(١)].

والعجيب أن المترفين في دنيانا – إلا من رحم ربي– حريصون كل الحرص على المال، لكن فقط عندما يدعون إلى الإنفاق، ووجوه الخير في المجتمع، وعند الإنفاق على الكماليات والتحسينات نجد منهم شَرَهًا وإفراطا وإسرافا.

*** ومن نتائج هذا الحرص الشديد على شهوات الدنيا ومتعها وعدم شكر الله على هذه النعم أن وُصِفوا بوصفي الظلم والإجرام، وهما من الصفات المذمومة للترف.**

قال الإمام البقاعي: " ﴿**واتبع**﴾ الأكثر وهم ﴿**الذين ظلموا**﴾ أي: أوقعوا الظلم بترك النهي عن الفساد، وما أحسن إطلاقها عن التقييد بـ ﴿منهم﴾ ﴿**ما**﴾ ولما كان المبطر لهم نفس الترف، بني للمفعول قوله: ﴿**أُترفوا فيه**﴾ فأبطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا ﴿**وكانوا مجرمين**﴾ أي متصفين على سبيل الرسوخ بالإجرام، وهو قطع حبل الله على الدوام، فأهلكهم ربك لإجرامهم، ولولا ذلك لما فعل، فإن إهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الإجرام يكون ظلمًا على ما يتعارفون"[(٢)].

---

(١) تفسير المراغي، ١٢/ ٩٧، والآية رقم ١٦ من سورة الإسراء.

(٢) نظم الدرر، ٩/ ٣٩٩، ٤٠٠.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "وَكَانُوا مُجْرِمِينَ - أَيْ: مُتَلَبِّسِينَ بِالْإِجْرَامِ الَّذِي وَلَّدَهُ التَّرَفُ رَاسِخِينَ فِيهِ، فَكَانَ هُوَ الْمُسَخَّرُ لِعُقُولِهِمْ فِي تَرْجِيحِ مَا أَعْطَوْا مِنْ ذَلِكَ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ"(١).

وحصر بعض المفسرين معنى الظلم بعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا شك إنه نوع من أنواع الظلم؛ **قال الزمخشري:** ﴿**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ**﴾ أراد بالذين ظلموا: تاركي النهى عن المنكرات، أى: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"(٢).

٣- الجزع والفزع عند المصيبة والجبن وعدم الثبات في المحن:

قد يخال أن المترفين لفرط تمردهم أقوياء، وأنهم لعتوّ عصيانهم أشداء، ولكن على العكس تمامًا فهم خوّارون جبناء لا ثبات لهم إذا دهمتهم مصيبة، ولا صبر لهم إن نزل بساحتهم بلاء.

والمترف ليس عنده القدرة على تحمل المشقة، والتجلد للشدائد والتأهب لمجيء الفتن وتقلب الأيام، وذلك نتيجة عجزه وعدم تهيئته لنفسه، وترويضه إياها على تحمل ذلك لو نزل به، فهو متعود على الراحة والدعة وخدمة الناس له، فبمجرد حلول مصيبة عليه تحده خائفا مذعورا لا يعرف كيف يتصرف فيها، وكان الأولى به أن يكون في مثل هذه الحوادث ثابتا، يفكر كيف يتغلب على ما حلّ به، ولكنها التربية وحياة الدعة التي تربي وتعودها أثرت فيه وفي صفاته وتصرفاته(٣).

---

(١) تفسير المنار، ١٢/ ١٥٨.

(٢) الكشاف، ٢/ ٤٣٧.

(٣) حديث القرآن عن الترف والمترفين دراسة موضوعية، أحمد سالم محمد باطاهر، صـ ٢٨٨، بحث منشور بمجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٦، العدد، ٢، ديسمبر ٢٠١٩م.

ومن الآيات التي تصور مدى فزعهم إذا حلت بهم الكوارث، قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ. لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾ [(١)]؛ ففي هذه الآيات يظهر مدى شدة فزع المترفين والذعر الذي يملأ نفوسهم إذا حلت بهم الكوارث وكيف أنهم يولون هاربين؛ فهم خوافون جزعون جبناء، فلما حلت بهم المصائب ركضوا وجروا خوفا مما حل بهم، ولم يثبتوا في هذه الشدة.

وتبين ذلك في الآيات من خلال التعبيرات الآتية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا**﴾، وَالْإِحْسَاسُ: الْإِدْرَاكُ بِالْحِسِّ فَيَكُونُ بِرُؤْيَةِ مَا يُزْعِجُهُمْ أَوْ سَمَاعِ أَصْوَاتٍ مُؤْذِنَةٍ بِالْهَلَاكِ كَالصَّوَاعِقِ وَالرِّيَاحِ[(٢)]؛ فإذا كانوا يَفِرُّونَ هَارِبِينَ لمجرد رؤية العذاب ومشاهدة بوادره، فهذا لا شك يكشف عن شدة فزعهم

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿**إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ**﴾: وَالرَّكْضُ: سُرْعَةُ سَيْرِ الْفَرَسِ، وَأُطْلِقَ الرَّكْضُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى سُرْعَةِ سَيْرِ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ تَشْبِيهًا لِسُرْعَةِ سَيْرِهِمْ بِرَكْضِ الْأَفْرَاسِ[(٣)].

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾: أَيْ: زَالَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ، وَهِيَ الِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ، هِجيراهم حَتَّى حَصَدْنَاهُمْ حَصْدًا وَخَمَدَتْ حَرَكَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ خُمُودًا[(٤)]؛ فاستمرار هذه المقالة معهم حتى إهلاكهم يدل على اشتداد جزعهم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ١١: ١٥.

(٢) التحرير والتنوير، ١٧/ ٢٥

(٣) التحرير والتنوير، ١٧/ ٢٥

(٤) تفسير ابن كثير، ٥/ ٣٣٥.

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي صورت جزعهم وهلعهم وجبنهم وصراخهم وقت الشدائد- أيضا-، قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [(١)]؛ فمَعْنَى "يَجْأَرُونَ": يَصْرُخُونَ، أي يصرخون ذلاً وانكساراً وجزعاً من غير مراعاة لنخوة، لا استكباراً، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ أَلَمِ الْعَذَابِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَبْرًا عَلَيْهِ فَيَصْدُرُ مِنْهُمْ صُرَاخُ التَّأَوُّهِ وَالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ [(٢)].

وهكذا يظهر سلوك المترفين وصفاتهم وأخلاقهم الذميمة، في تكبرهم وأنفتهم عن قبول الحق؛ فيكفرون بالله ﷻ، ويردون رسل الله؛ لأنهم يغفلون عن البعث واليوم الآخر، والعجيب أنه يفتخرون بأمور زائلة من المال والولد والنفر والجاه؛ ولذلك يكونون أشدّ ما يكونون خوفًا وفزعًا عند المصائب، ولا يصبرون على الابتلاء، بل يخرّون صاغرين أمام أي شدة، أو كارثة تصيبهم، وذلك لتعلقهم بالدنيا وشهواتها الفانية.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٦٤، ٦٥.

(٢) **ينظر**: نظم الدرر، ١٣/ ١٦٢، والتحرير والتنوير، ١٨/ ٨٤.

المبحث الثالث: جزاء المترفين في الدنيا والآخرة.

يجلب الترف الهلاك والدمار ليس على أصحابه فحسب، بل على المجتمع بأسره، ولذلك توعّدهم الله بعقاب أليم كما أنه نوّع عقوبتهم، فمنها ما هو دنيوي، وما هو أخروي.

أولاً: جزاء المترفين في الدنيا: التدمير والإهلاك والأخذ بعذاب الاستئصال:

بين الله ﷻ ما حاق بالأمم المترفة على مدار التاريخ، وذلك ليحذر مترفو مكة خاصة، والمترفون عامة خطر الترف باعتبار أن الترف خطر على الكل، وما جر هذا الترف من ويلات.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير: "وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهَا(٢)، فَقِيلَ: مَعْنَاهَا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا أَمْرًا قَدَرِيًّا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا**﴾ (٣)، فَإِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وقَالُوا: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سَخَّرَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْفَوَاحِشِ فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَاتِ فَفَعَلُوا الْفَوَاحِشَ فَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ. وقيل: سَلَّطْنَا أَشْرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أهلكهم الله بِالْعَذَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا**﴾ (٤)، ونقل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾ يَقُولُ: أَكْثَرْنَا عَدَدَهُمْ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَعَنْ مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: أَكْثَرْنَا.."(٥).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦..

(٢) أي: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤..

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٣..

(٥) تفسير ابن كثير، ٥/ ٦١، ٦٢.

فعلى المعنى الأخير أكثرنا عددهم، يدل على أن شيوع الترف في القرى، وانتشاره في الأمم هو نذير بإهلاكها وإذلالها، فما وصلت الأمم لما وصلت إليه من التخلف والانحطاط إنما بسبب ترفهم وحبهم الشديد للدنيا، ورغبتهم في الاستكثار منها

وقال الإمام الرازي: "الْمَعْنَى أَمَرْنَاهُمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهِيَ الْإِيمَانُ وَالطَّاعَةُ وَالْقَوْمُ خَالَفُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ عِنَادًا وَأَقْدَمُوا عَلَى الْفِسْقِ"[١].

فالله تبارك وتعالى إذا أراد إهلاك قرية لظلمهم وفجورهم أمر مترفيهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة، وحقّ عليهم بذلك الهلاك والدمار، وإنما خصّ المترفين بالذكر؛ لأن العامة والدهماء يقلدونهم فيما يفعلون؛ ولأنهم أسرع إلى الفجور وأقدر على الوصول إلى سبله[٢].

وكم من أمة أهلكت بسبب ترفها، ذلك لأن المترفين هم الذين كثرت لديهم النعم فوجب عليهم أداء شكرها، ولكنهم فعلوا عكس ذلك فكان عاقبة ترفهم الخراب، وقد أجمل الله سبحانه قصص هذه القرى في مواطن من القرآن الكريم.

ومن الآيات التي بينت إهلاك قرية قرية بسبب ترفها وبطرها، قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾[٣].

قال الإمام الآلوسي: "أي: وكثيرا من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء[٤] في الأمن وخفض العيش، والدعة حتى بطروا واغتروا، ولم يقوموا بحق النعمة فدمرنا عليهم، وخربنا ديارهم، ﴿**فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ**﴾ التي تمرون عليها في أسفاركم كحجر ثمود خاوية بما ظلموا حال كونها ﴿**لَمْ**

---

(١) تفسير الرازي، ٢٠/ ٣١٤.

(٢) تفسير المراغي، ١٥/ ٢٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

(٤) يقصد: أهل مكة، وهو ما وضحته الآية التي قبلها.

﴿تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد تدميرهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا زمانا قليلا إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم، أو إلا سكنا قليلا، وقلته باعتبار قلة الساكنين، فكأنه قيل: لم يسكنها من بعدهم إلا قليل من الناس، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ منهم؛ إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات أيديهم، وفي الكشاف[١]: أي: تركناها على حال لا يسكنها أحد، أو خربناها وسويناها بالأرض، وهو مشير إلى أن الوراثة إما مجرد انتقالها من أصحابها وإما إلحاقها بما خلقه الله تعالى في البدء فكأنه رجع إلى أصله ودخل في عداد خالص ملك الله تعالى على ما كان أولا وهذا معنى الإرث"[٢].

فلم تكن النعم الكثيرة هي سبب إهلاك الأمم، ولكن سوء تصرف أصحابها بها، واحتكارها لأنفسهم للاستمتاع بما لذ وطاب من لذائذ الدنيا، ونعيمها، وحرمان الآخرين من أقل القليل، كما أن الخطر يكمن في الترف؛ لأنه يعمي العقول عن الصواب، ويورث القلوب الكفر، لذا فإن المترفين هم الذين يصدون دعوات الرسل؛ لأنهم استعذبوا حياة الترف، والتنعم[٣].

وعن الأخذ بعذاب الاستئصال قال الإمام البيضاوي عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**

---

(١) تفسير الكشاف، ٣/ ٤٢٤.

(٢) تفسير الآلوسي، ١٠/ ٣٠٥.

(٣) **ينظر**: نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين، مريم محمود حسن صالح، صـ ٤٠٨، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى بالسعودية- كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م.

مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [١]: "كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فشو الظلم فيهم، واتباعهم للهوى، وترك النهي عن المنكرات مع الكفر"[٢].

إن المترفين في الأمم السابقة، بل في كل عصر، ينقطع ذكرهم؛ لأنهم يصبحون غثاء كغثاء السيل، لا قيمة لهم ولا وزن؛ قال الله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾** [٣].

ثانيًا: العقاب الأخروي: عذاب النار:

إذا كانت عاقبة المترفين في الدنيا هي الإهلاك والتدمير، والاستئصال، وانقطاع الذكر، فما لهم في الآخرة أعظم وأشد.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾** [٤].

وأصحاب الشمال، وما أدراك ما هم؟ وأي شيء هم فيه، وأي صفة لهم حال تعذيبهم في الآخرة؟ وهذا فيه معنى اللوم وتعظيم المصاب. هم في ريح يابسة، لا بلل معها، شديدة الحرارة، ويشربون الماء المغلي، ويتظلّلون بدخان جهنم الشديد السواد، ليس باردا كالظلال الباردة عادة، ولا حسن المنظر ولا نافعا، وكل ما ليس فيه خير، فهو ليس بكريم، أي ليس للظلال صفة مدح، فهو سيّئ الصفة، وهم فيه مهانون، إنهم كانوا في الدنيا مترفين، أي يتنعمون في سرف وتخوض"[٥].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٢) تفسير البيضاوي، ٣/ ١٥٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان ٤١، ٤٥.

(٥) **ينظر**: التفسير الوسيط للزحيلي، ٣/ ٢٥٧٧.

وَالسُّمُومُ: الرِّيحُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ الَّذِي لَا بَلَلَ مَعَهُ وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ السُّمِّ، وَهُوَ مَا يهْلك إِذْ لَاقَى الْبَدَنَ، وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَالْيَحْمُومُ: الدُّخَّانُ الْأَسْوَدُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحُمَمِ بِوَزْنِ صُرَدٍ اسْمٌ لِلْفَحْمِ، وَالْحُمَمَةُ: الْفَحْمَةُ، وَحَرْفُ مِنْ بَيَانِيَّةٌ إِذِ الظِّلُّ هُنَا أُرِيدُ بِهِ نَفْسُ الْيَحْمُومَ، أَيِ الدُّخَّانِ الْأَسْوَدِ، وَوَصَفَ ظِلٍّ بِأَنَّهُ مِنْ يَحْمُومٍ؛ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ ظِلُّ دُخَّانِ لَهَبِ جَهَنَّمَ، وَالدُّخَّانُ الْكَثِيفُ لَهُ ظِلٌّ لِأَنَّهُ بِكَثَافَتِهِ يَحْجُبُ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ مِنَ الدُّخَانِ ظِلَّهُ؛ لِمُقَابَلَتِهِ بِالظِّلِّ الْمَمْدُودِ الْمُعَدِّ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [(١)]، أَيْ لَا ظِلَّ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ سِوَى ظِلِّ الْيَحْمُومِ. وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ التَّهَكُّمِ [(٢)].

هكذا تبين لنا جزاء المترفين وعقوباتهم في الدنيا من الإهلاك والتدمير، والاستئصال، وانقطاع الذكر، وفي الآخرة من العذاب الشديد وخاصة إذا انضم إلى الترف الشرك وإنكار البعث، نسأل الله السلامة.

وهنا سؤال يطرح نفسه، ما سبيل الوقاية من الترف وما علاجه؟ ، هذا ما أوضحه في المبحث التالي – بمشيئة الله تعالى–.

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٧/ ٣٠٤.

المبحث الرابع: أسباب الترف وعلاجه

بعد أن عرفنا صفات وسلوك المترفين، وعاقبتهم في الدنيا والآخرة من خلال آيات الذكر الحكيم؛ يجدر أن أوضح أهم أسبابه؛ لأن معرفة أسبابه أول خطوة من طرق الوقاية منه، وعلاجه؛ حتى يسلم المجتمع من الهلاك ومن موجة الغلاء العالمية، ثم أوضح أهم طرق علاجه.

ومن أهم أسباب الترف:

١- انفتاح الدنيا ووفرة النعم:

انفتاح الدنيا على الناس، ووفرة النعم يكون غالبًا من أكبر دواعي الترف وأسبابه؛ وذلك لأنه يدعو إلى الركون والمتعة والراحة، ويدفع إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، وواقع المجتمعات يشهد بذلك، فإنه كلما بسطت الدنيا على الناس اقتربوا من الترف والبطر، والإنفاق في غير حاجة ترفًا ومباهاة وحبًّا للظهور

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [(١)]؛ قال الإمام البيضاوي: " ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً، أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب، وأصل البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية. وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ بتقدير. مَا يَشاءُ كما اقتضته مشيئته. ﴿**إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم"[(٢)].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٨١.

وقد حذر الصادق المصدوق من بسطة الدنيا ومنافستها وانشغال الناس بها؛ حيث قال ﷺ: "... **فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ**"(١).

فالنبي ﷺ يحذر من انفتاح الدنيا، وفيض الأموال؛ حيث إن ذلك يجر إلى الانسياق خلف ملذاتها، والتعلق بزخارفها، والوقوع في التنافس فيها ليعيش طالبها عيش الترف والبذخ وما إلى ذلك.

٢- تعلق النفس بالشهوات:

حبّب الله تعالى للبشر زينة الحياة الدنيا وزخرفها، قال الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ (٢).

قال الإمام أبو السعود: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ**﴾ كلامٌ مستأنفٌ سيق لبيان حقارةِ شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها، وتزهيدٌ للناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى، إثرَ بيانِ عدم نفعِها للكفرة الذين كانوا يتعزّزون بها والمرادُ بالناس الجنس. ﴿**حُبُّ الشهوات**﴾ الشهوة نزوعُ النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتهَيات، عبّر عنها بالشهوات؛ مبالغة في كونِها مشتهاةً مرغوبًا فيها كأنها نفسُ الشهوات، أو إيذانا بانهماكهم في حبها بحيث أحبوا شهواتِها كما في قوله تعالى ﴿**إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير**﴾، أو استرذالاً لها فإن الشهوة مسترذَلةٌ مذمومة من صفات البهائم... ﴿**مِنَ النساء والبنين**﴾ وتقديمُ النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فإنهن حبائلُ الشيطان ﴿**والقناطير المقنطرة**﴾

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث طويل نهايته هذه الفقرة، ٨/ ٩٠ (٦٤٢٥)، كتاب: الرقاق، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

جمعُ قِنطار وهو المالُ الكثير .. ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بَدْرةٌ مُبدَرة، وقيل المقنطرة المحْكمة المحْصنة، وقيل الكثيرة المُنضّدة بعضُها على بعض أو المدفونة، وقيل المضروبة المنقوشة ﴿**مِنَ الذهب والفضة**﴾ بيان للقناطير أو حال ﴿**والخيل**﴾ عطف على القناطير ﴿المسومة﴾ أي المُعْلمة منَ السُّومةِ وهيَ العلامةُ أو المرْعيّة من أسام الدابة وسوَّمها إذا أرسلها وسيَّبها للرعي أو المُطَهّمة التامةُ الخَلْق ﴿والانعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿**والحرث**﴾ أي الزرع مصدر بمعنى المفعول ﴿**ذلك**﴾ أي ما ذكر من الأشياء المعهودة ﴿**مَّتَاعَ الحياة الدنيا**﴾ أيْ ما يتمتعُ بهِ في الحياةِ الدنيا أياماً قلائلَ فتفنى سريعاً ﴿**والله عِندَهُ حُسْنُ المآب**﴾ حسنُ المرجِع، وفيه دلالةٌ على أن ليس فيما عُدّد عاقبةٌ حميدة وفي تكرير الإسناد بجعل الجلالة مبتدأ وإسنادِ الجملة الظرفية إليه زيادةُ تأكيدٍ وتفخيم ومزيدُ اعتناء بالترغيب فيما عند الله ﷻ من النعم المقيم والتزهيدُ في ملاذّ الدنيا وطيباتها الفانية[1].أ. هـ. بتصرف.

وليست المشكلة في ذلك الحب الذي وضعه الله تعالى في القلوب، بل إنه فطري، وضروري لاستمرار الحياة، ولكنها تكمن في تقديم حبّهم لشهواتهم وملذّاتهم على توحيد الله وإفراده بالعبادة والعمل لدينه؛ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[2].

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/ ١٤، ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

قال الإمام النسفي: "والآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ"(١).

أي: قل لهم يا رسول الله: إن كان كل ذلك - من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، والأموال، والتجارة، والمساكن - ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾ أى: إن كانت هذه الأشياء أحسن في نفوسكم وأقرب إلى قلوبكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، فانتظروا حتى يحكم الله فيكم، وهو العذاب العاجل أو العقاب الآجل، والله- تعالى- قد اقتضت حكمته أن لا يوفق القوم الخارجين عن حدود دينه وشريعته إلى ما فيه مثوبته ورضاه(٢).

٣- طول الأمل ونسيان الموت والغفلة عن الدار الآخرة:

حكى القرآن عن المكذبين المترفين بأنهم في غفلة؛ قال تعالى: ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾ (٣).

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادنا إياهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن، وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: (مِنْ هَذَا) من القرآن"(٤).

---

(١) تفسير النسفي، ١/ ٦٧١.

(٢) تفسير الوسيط، أ. د/ طنطاوي، ٦/ ٢٣٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٦٣: ٦٥.

(٤) تفسير الطبري، ١٩/ ٤٨.

فالمترفون منخرطون في ملذاتهم وشهواته ناسون أو متناسون حق الله عليهم، فعاقبهم الله بالغفلة التي يجدونها في قلوبهم، فلم يوقظهم من غفلتهم وسباتهم إلا أن يحل عليهم العذاب فإذا هم يقومون من سباتهم ويفيقون ولكن بعد فوات الأوان[١]..

والانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها ناتج عن طول الأمل، ونسيان الإنسان كونه في رحلة إلى الدار الآخرة تكتمل بنزول ملك الموت لقبض الروح، ونظرًا لخطورة تلك الغفلة عن ذلك المصير وما تنتجه من ضعف الخوف من الله تعالى وقلّة الخشية له، وبالتالي عدم المحاسبة للنفس والمراقبة لعملها؛ قال الله تعالى: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

قال الإمام ابن كثير: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا**﴾ تَهْدِيدٌ لَهُمْ (أي: الكفار) شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾[٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ**﴾[٤]، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ**﴾ أَيْ: عَنِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ أَيْ: عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ[٥].

وبين المصطفى ﷺ أن هؤلاء المترفين الذين قست قلوبهم ونسوا الآخرة شرار الناس؛ فعن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: **قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ إِنَّ مِنْ شِرَارِ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ، وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ"**[٦]، .

---

(١) حديث القرآن عن الترف والمترفين، صـ٢٩٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.

(٤) سورة المرسلات، الآية: ٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٢٦.

(٦) أخرجه البزار في مسنده، ١٦/ ٢٤٣ (٩٤١٥)، وَمن طَرِيقه الْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان من حَدِيث فَاطِمَة بنت رَسُول الله- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَتْ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -: «شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ،**

=

٤- الاغترار بالمال والسلطان:

من طبيعة المترفين- كما بين القرآن الكريم- أنهم يغترون بما لديهم من مال وأولاد وسلطان؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ (١)، وقال سبحانه عن قارون: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ (٢)؛ أي: يقول قارون: إنه تعالى أنعم عليه بتلكَ الأموالِ والذخائرِ من غير سببٍ واستحقاقٍ مِن قِبَلِه، أي: فُضلت به على النَّاسِ واستوجبتَ به التفوقَ عليهم بالمالِ والجاهِ وعلى علمٍ .. ﴿**أو لم يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القرون مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً**﴾ توبيخٌ له من جهةِ الله تعالى على اغترارِه بقوَّتِه وكثرةِ مالِه مع علمِه بذلك قراءةً في التَّوراةِ وتلقياً من موسى عليه السلام وسماعاً من حُفَّاظِ التَّواريخِ وتعجبٌ منه، فالمعنى: ألمْ يقرأِ التَّوراةَ ولم يعلمْ ما فعلَ الله تعالى بأضرابِه من أهلِ القُرونِ السَّابقةِ حتَّى لا يغترَّ بما اغترُّوا به، أو رد لادعائه العلمَ وتعظمه به بنفيِ هذا العلمِ منه فالمعنى: أعَلِم ما ادَّعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسَه مصارعَ الهالكينَ ﴿**وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون**﴾ سؤالُ استعلامٍ بل يُعذَّبون بها بغتةً كأنَّ قارونَ لما هُدِّد بذكرِ إهلاكِ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ" ٧/ ٤٥٩ (٥٢٨١) - وَرَوَى من حَدِيث فَاطِمَة بنت الْحُسَيْن مُرْسلا، قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ فِي الْعِلَل: أَنه أشبه بِالصَّوَابِ، وَرَوَاهُ أَبُو نعيم فِي الْحِلْية من حَدِيث عَائِشَة بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ.

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٨.

من قبله ممَّن كان أقوى منه وأغنى أكَّد ذلك بأنْ بيَّن أنَّ ذلك لم يكن مما يخصُّ أولئك المُهلَكين بل الله تعالى مطلعٌ على ذنوبِ كافَّة المجرمين يعاقبهم عليها[١].

إنّ الجاه والمنصب قد يحمل على الظلم، والتعدّي، وعدم المبالاة بحقوق الآخرين، كما هي عادة المترفين.

٥- ضعف الإيمان:

من أبرز أسباب الترف: ضعف الإيمان أو انعدامه، وقلة الوازع الديني؛ فإن الترف مرتبط بالبعد عن دين الله ارتباطًا وثيقًا .

وفي ذمّ القوم المعاندين للرسل الذين أبطرتهم النعمة وصدتهم عن الإذعان للحق النازل من عند الله سبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [٣].

ولا يعني ذلك أن الترف خاصّ بالكفار والمكذبين، بل هو خلقٌ عامّ ينطبق على كل من اتصف به، والله تعالى يذكر صفات القوم ليحذّرنا من الوقوع فيها، وقد وقع كثير من المسلمين في الترف، وهذا راجع إلى ضعف الإيمان، وقلة الوازع، والانغماس في المعاصي، والاغترار ببريق الدنيا وزخارفها .

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧/ ٣٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) سورة سبأ، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

٦- التقليد الأعمى:

إنّ الإنسان يتأثر ببيئته تأثّرًا كبيرًا، فمن نشأ في بيئةٍ مترفةٍ لا تهتم بتربية النّشء على الجلد والخشونة، ولا توجهه في كيفية التعامل مع فتنة الحياة الدنيا وزخرفها، فإنّه يتأثر بذلك حتمًا إلا من رحم الله، وقد جاء في بعض آيات الترف الإشارة إلى تأثّر المترفين ببيئتهم وأسلافهم؛ قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ (١) .

والتقليد والمحاكاة والمباهاة تعتبر من آفات العصر، فمتوسط الحال يحاول مجاراة العلية وأغنياء القوم؛ حتى إنك لا تكاد تفرق بين الغني وغيره بسبب ذلك التقليد والمباهاة في أمور الحياة كالمركب، والمسكن، والملبس ونحوهما.

علاج الترف:

الترف يعد ظاهرة اجتماعية، وآفة إنسانية خطيرة، ومرض نفسي خطير، ولكل مرض علاج؛ فعَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ**»(٢)، وألخص العلاج في النقاط الآتية:

أولاً: معرفة حقيقة الترف ومعرفة خطورته:

إن المجتمع إذا عرف أن الترف هو التنعم بملذات الدنيا وشهواتها، وهذا التنعم يصحبه - غالبًا - جهل وطغيان وعدم شكر نعم الله، فيؤدي كل هذا إلى إنفاق الأموال في غير طاعة الله تعالى، وهو بهذا مذموم؛ كما قال الإمام أبو حيان عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ**

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، بَابُ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، ٤/ ١٧٢٩ (٢٢٠٤) .

مُتْرَفِينَ﴾ [١]: " إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ: أَيْ فِي الدُّنْيَا، مُتْرَفِينَ: **فِيهِ ذَمُّ التَّرَفِ وَالتَّنَعُّمِ فِي الدُّنْيَا**، وَالتَّرَفُ طَرِيقٌ إِلَى الْبِطَالَةِ وَتَرْكِ التَّفَكُّرِ فِي الْعَاقِبَةِ"[٢].

وإذا عرف أثره على المجتمعات من هلاك ودمار يعم الجميع، وغير ذلك من أضرار الترف؛ لأدى ذلك إلى الحدِّ منه، وأخذ الناس بعضهم بيد بعض في الوقاية منه.

إن ظاهرة المترفين هي ظاهرة متكررة في كل زمان ومكان، والعذاب الإلهي المباشر إذا كان قد رفع عن المجتمعات، فإن ذلك لا يعني عدم نزول العذاب بما كسبت أيدي الناس، بحيث يتحول العذاب إلى جزء من حركة السنن التي يعتبرها الناس متيجة منهجية في التعامل معها؛ لأن مشيئة الله قد اقتضت أن يكون الناس هم المسئولون عن فسادهم وعن صلاحهم بمقدار ما يمارسون مسئولياتهم هنا وهناك.

ثانيًا: تقوية الوازع الديني والإحساس بالرقابة الإلهية:

إن الإنسان إذا استشعر مراقبة الله ﷻ وخاف منه، قوي عنده الوازع الديني، الذي أساسه الإيمان بالله ﷻ، وباليوم الآخر، وهو الباعث الأساس على فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، والتي منها الترف الذي يطغي، ويهلك، هذا الوازع يعلم الإنسان كيف يحسن التصرف في المال وفيما أعطاه الله من نعم؛ قال تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** [٣].

أَيِ: اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة. وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا أَبَاحَ

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

اللهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكَحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، وَلِزَوْرِكِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وأَحْسِنْ إِلَى خَلْقِهِ كَمَا أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْكَ، لَا تكنْ هِمَّتُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تُفْسِدَ بِهِ الْأَرْضَ، وَتُسِيءَ إِلَى خَلْقِ اللهِ ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

والإحسان إلى عباد الله يكون بترك البغي عليهم وإعطائهم حقوقهم(٢)؛ فمن صور الإفساد التي تحدث: إنفاق المال في معصية الله ﷻ، والتكبر به على عباد الله، والاحتكار، والربا، والغش في البيع والشراء، وغير ذلك مما يترتب عليه إذاقة الناس ويلات هذه الأمور كالغلاء الذي يجتاح العالم الآن.

ثالثًا: قيام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان من أسباب هلاك الأمم الماضية: عدم القيام بواجب وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ "فكل قوم لم يكن فيهم آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر من أرباب الصدق وهم مجتمعون على الفساد، أو لا يأتمرون بالأمر بالمعروف ولا ينتهون بالنهى عن المنكر فإنهم هالكون) (٣).

قال الإمام الزمخشري عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ (٤): "**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ** أراد بالذين ظلموا: تاركي النهى عن المنكرات، أى: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

---

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) التفسير الوسيط، ١٠/ ٤٣٧.

(٣) التفسير الوسيط، ١٠/ ٤٣٧.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٦.

وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم"[١].

ومن المعلوم أن **مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة**؛ يقول الإمام القرطبي عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ**﴾[٢].

"رَوَى الْأَئِمَّةُ[٣] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**) . قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ بِالْيَدِ عَلَى الْأُمَرَاءِ، وَبِاللِّسَانِ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَبِالْقَلْبِ عَلَى الضُّعَفَاءِ، يَعْنِي عَوَامَّ النَّاسِ

فيجب على الدولة أن تأخذ بيد من حديد على المترفين الذين يحتكرون السلع والمواد الخام؛ لأن السوق عرض وطلب، فإذا احتكروا هذه السلع والمواد الخام شحت في الأسواق، فارتفعت الأسعار، واشتدت موجة الغلاء؛ لذلك نجد المفسرين والعلماء تكلموا عند قول ربنا سبحانه= كما طلب رسول الله - ﷺ -: ﴿**وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**﴾

---

(١) الكشاف، ٢/ ٤٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٣) مسند الإمام أحمد، ١٧/ ١٢٧، (١١٠٧٣)، وصحيح الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بَابُ: بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ١/ ٦٩ (٤٩).

قال الإمام ابن كثير: " ﴿**وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا: وَعَدَهُ رَبُّهُ لَيَنْزَعَنَّ مُلْكَ فَارِسَ، وَعِزَّ فَارِسَ، وَلَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ، وَمُلْكَ الرُّومِ، وَعِزَّ الرُّومِ، وَلَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ فِيهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ عَلِمَ أَلَّا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ، فَسَأَلَ سُلْطَانًا نَصِيرًا لِكِتَابِ اللهِ، وَلِحُدُودِ اللهِ، وَلِفَرَائِضِ اللهِ، وَلِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ؛ فَإِنَّ السُّلْطَانَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ جَعَلَهُ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأَكَلَ شَدِيدُهُمْ ضَعِيفَهُمْ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿**سُلْطَانًا نَصِيرًا**﴾ حُجَّةً بَيِّنَةً. وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قَوْلَ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ؛ **لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مَعَ الْحَقِّ مِنْ قَهْرٍ لِمَنْ عَادَاهُ وناواه**؛ ولهذا قال سبحانه تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [(١)] وَفِي الْحَدِيثِ[(٢)]: "**إِنَّ اللهَ لَيَزَع بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ**" أَيْ: لَيَمْنَعُ بِالسُّلْطَانِ عَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ، مَا لَا يَمْتَنِعُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَكِيدِ، وَالتَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ"[(٣)]..

قال الشيخ الشعراوي: السلطان يُراد به إما حجة تُقنع، وإما سيف يَرْدَع، وهذا واضح في قَوْل الحق تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبينات وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكتاب والميزان لِيَقُومَ الناس**

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) المشهور أن هذه العبارة من الأثر، وهو قول لسيدنا عثمان بن عفان - ﷺ -، وليست حديثا. **ينظر**: تفسير الماوردي = النكت والعيون، ٤/ ١٩٩، وزهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٥/ ٢٢٥٠، ونسبه السيوطي في الدر المنثور، ٥/ ٣٢٩ إلى سيدنا عمر بن الْخطاب - ﷺ -، وربما يقصد ابن كثير بالحديث: الموقوف.

(٣) تفسير ابن كثير، ٥/ ١١١.

بالقسط﴾ [(١)]؛ أي: بالآيات الواضحات، وهذه أدوات الحجة والإقناع. ثم يقول تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا الحديد فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ وهذه أدوات القوة والردع.

فالخيِّر من الناس يرتدع بقول الله وبقول الرسول ويستجيب، أما الشرير فلا تُجدي معه الحجة، بل لابُدّ من رَدْعه بالقوة، فالأول إنْ تعرّض للحلف بالله حلف صادقًا، أما الآخر فإنْ تعرّض للحلف حلف كاذبًا، ووجدها فُرْصة للنجاة، ولسان حاله يقول: أتاك الفرج"[(٢)].

وآية سورة الحديد تفيد في ظل الهداية القرآنية – كما يقول **الأستاذ الشيخ محمد صادق عرجون** – أن تحقيق العدل غاية عامة في إنزال الشرائع؛ فقد **ابتدأت** بأمر مهم أن بيان الحق سابق على إقامة القسط والعدل؛ فالدعوة إلى الحق يجب أن تكون قائمة على الحجة والبينة والبرهان الصحيح، **ثم بينت إنزال الكتاب** الذي هو مصدر هداية للعدل مقرونا بإنزال الميزان، والميزان هو الفيصل الذي يحدد الحقوق والواجبات؛ فهو وسيلة تطبيق العدل مقننا بقانون الحكمة، ليقوم الناس في حياتهم بالعدل ولو بقوة القهر لمن أبى واستكبر، **كل ما سبق سنة الله** في جميع رسالاته ومع جميع أنبيائه ورسله[(٣)].

على الدولة أن تضع من التشريعات الكافية لردع هؤلاء وأمثالهم من المفسدين؛ حتى لا تتحول حالات الغنى في المجتمع إلى حالات ترف، فالقرآن الكريم غلظ العقوبات كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يكنِزونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقونَها في سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أليمٍ * يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها**

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير الشعراوي، ١٤/ ٨٧٠٧.

(٣) مختارات في التفسير الموضوعي من كتاب: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين لفضيلة الشيخ/ محمد الصادق عرجون، المقرر على الفرقة الرابعة بكليات أصول الدين والشعب المناظرة لها، بجامعة الأزهر، صـ٨٦.

في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بها جِباهُهُم وجُنوبُهم وجُلودُهُم هذا ما كَنَزْتُم لأنفُسِكُمْ فذوقوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزونَ﴾ [(١)]، ودعا إلى **تكسير تمركز الثروات العامّة،** فقال تعالى: ﴿**ما أفاءَ اللهُ على رَسولِهِ من أهْلِ القُرى فللهِ وللرَّسولِ ولذي القُربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ كَيْ لا يكونَ دُولَةً بينَ الأغنياءِ منكُمْ﴾** [(٢)]، إلى غير ذلك من آيات الإنفاق التي نرى أنّها تستهدف المحافظة على التوازن الاجتماعي من خلال تكفّل المجتمع بحاجات أبنائه من الفقراء والمحرومين، من موقع الواجب الإلهيّ، لا المنّة الذاتيّة.

وعلى العلماء خاصة الدعاة أن يتكلموا على منابرهم الخاصة وفي أنديتهم العامة عن خطورة الدنيا وزينتها، وأن يعملوا على بثِّ روح الإيمان بالله تعالى، والعمل على مراقبته، والخوف من عذاب يوم القيامة، وأن يعود الناس إلى سيرة سيد المرسلين والصحابة والتابعين بقراءة واعية متأنية، وكيف تعاملوا مع الدنيا، فلم تفتنهم بمباهجها وزخرفها، مع وجود الأغنياء الحامدين الشاكرين.

على الدعاة والعلماء أن يعلموا الناس أن التّرف آفة اجتماعية واقتصادية خطيرة، يجب الحذر منها، ومن ثم يجب عليهم الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، التي تدعو إلى التّواضع والزهد في الدنيا.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فأحمد الله أن وفقني للانتهاء من كتابة هذا البحث الذي أرجو له القبول في الدنيا، ورفعة الدرجات به في الآخرة، ومن خلال المعايشة مع هذا البحث أستطيع أن أدون النتائج الآتية:

١- أن معنى الترف في القرآن الكريم مرتبط تمام الارتباط بالمعنى اللغوي، وهو التنعم بملذات الدنيا وشهواتها والتوسع فيها، والانغِماس في الحياة ومُجاوزة حدِّ الاعتدال في التعامُل مع النِّعَم، وبذلُ الجُهد لبُلوغ الغاية في حاجات اللَّذَّات الحسِّيَّة، مهما كانت الوسَيلة، ثم تكون النتيجة الحتمية- في الغالب- عدم اتعاظ المترفين بَهَدْى؛ فيضلوا ويضلوا غيرهم، بل يظلمون، ويقفون في مواجهة كل هدى؛ مما يترب على ذلك هلاك المجتمعات.

٢- الإسراف أولى مظاهر الترف، وإذا أسرف الإنسان وتكبر وافتخر بماله وقوته وسلطانه صار باذخا، وإذا وصل لمرحلة عدم إعمال العقل، بل وضياع الشرع في ما يملك صار سفيها لا يحسن التصرف في ملكه، فيكون خطرا على أسرته، ومن ثَمَّ المجتمع، فنجد أن الإسلام شرع الحجر عليه؛ بهدف حمايته وحماية الغير.

٣- البطر مرحلة متقدمة من الترف؛ لأنه طغيان وكفران للنعمة، وعدم تقبل الحق.

٤- سطر القرآن سلوك المترفين وصفاتهم وأخلاقهم الذميمة، فهم متكبرون يأنفون من قبول الحق؛ فيكفرون بالله ﷻ، ويردون رسل الله؛ لأنهم يغفلون عن البعث واليوم الآخر، والعجيب أنه يفتخرون بأمور زائلة من المال والولد والنفر والجاه؛ ولذلك يكونون أشدّ ما يكونون خوفًا وفزعًا عند المصائب، و لا يصبرون على الابتلاء، بل يخرّون صاغرين أمام أي شدة، أو كارثة تصيبهم، وذلك لتعلقهم بالدنيا وشهواتها الفانية.

٥- ومن أهم أسباب الترف: انفتاح الدنيا ووفرة النعم، وتعلق النفس بالشهوات، وطول الأمل ونسيان الموت والغفلة عن الدار الآخرة، والاغترار بالمال والسلطان، ضعف الإيمان، والتقليد الأعمى.

٦- علاج الترف يكمن في معرفة حقيقة الترف ومعرفة خطورته، وتقوية الوازع الديني والإحساس بالرقابة الإلهية، وقيام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

التوصيات والمقترحات:

أقترح وأوصي بما يأتي:

١- أن تقوم وزارة الأوقاف بوضع موضوعات في شهر كامل عن الحديث عن الغلاء ومواجهته في ضوء الشرع الحنيف.

٢- أن تقوم الجامعات بندوات تثقيفية حول خطورة الترف، وأثره على المجتمعات.

٣- أن تقوم الدولة بسنّ القوانين والتشريعات اللازمة للحد من الأشكال المخالفة للشرع في البيع والشراء، وكذلك وضع القوانين الاقتصادية التي تحد من ظاهرة الترف.

٤- قيام الدعاة والعلماء بالتوعية اللازمة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حول مخاطر الترف، وأثره على الفرد والمجتمع.

٥- استشعار الأغنياء بالدور المنوط بهم في مواجهة الغلاء العالمي، وهو التكافل الاجتماعي الذي شرعه الشرع الحكيم من إخراج الزكوات، والصدقات، والكفارات، والتعاون على البر والتقوى.

والحمد لله أولاً وآخرًا

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

مصادر البحث

أولاً: القرآن الكريم:

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ.

[٢] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

[٣] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ط: ١٤١٩ هـ.

[٤] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

[٥] التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ.

[٦] تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[٧] تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط: الأولى.

[٨] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن

محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

[٩] تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

[١٠] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

[١١] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

[١٢] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م.

[١٣] التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، ط: ١٤١٢ هـ..

[١٤] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

[١٥] تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

[١٦] التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

[١٧] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (١٣٩٣ ه - = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ ه - = ١٩٩٣ م) .

[١٨] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: الأولى.

[١٩] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

[٢٠] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

[٢١] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

[٢٢] زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

[٢٣] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥ هـ.

[٢٤] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

[٢٥] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» .محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٤ هـ.

[٢٦] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

[٢٧] محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨هـ.

[٢٨] مختارات في التفسير الموضوعي من كتاب: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين لفضيلة الشيخ/ محمد الصادق عرجون، المقرر على الفرقة الرابعة بكليات أصول الدين والشعب المناظر لها، بجامعة الأزهر.

[٢٩] مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٧ هـ

[٣٠] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ) .

[٣١] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

[٣٢] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ.

[٣٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[٣٤] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

[٣٥] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.

ثالثا: كتب الحديث وعلومه:

[٣٦] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

[٣٧] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار

طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

[٣٨] سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

[٣٩] شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

[٤٠] صحيح مسلم بشرح الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.....

[٤١] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين.

[٤٢] المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

[٤٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م

[٤٤] مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

[٤٥] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

رابعًا: المعاجم والطبقات:

[٤٦] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[٤٧] تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

[٤٨] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

[٤٩] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

[٥٠] طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٣هـ.

[٥١] القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق - سورية، ط: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، تصوير: ١٩٩٣ م.

[٥٢] كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط:

الأولى ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

[٥٣] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[٥٤] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

[٥٥] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

[٥٦] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، ط: الأولى، ٢٠١٠ م.

[٥٧] معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب - «قم»، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

[٥٨] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

[٥٩] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

[٦٠] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة.

[٦١] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د.

رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط: الأولى - ١٩٩٦م.

[٦٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

خامسًا: كتب عامة ومجلات ورسائل علمية وأبحاث ودوريات:

[٦٣] الترف وأثره في الدعاة والصالحين، د/ محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، جدة، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

[٦٤] حديث القرآن عن الترف والمترفين دراسة موضوعية، أحمد سالم محمد باطاهر، بحث منشور بمجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٦، العدد، ٢، ديسمبر ٢٠١٩م.

[٦٥] مجلة لواء الإسلام، العدد: السادس، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية- جدة، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

[٦٦] مجلة المنطلق اللبنانية، العدد: ٣٦، سنة ١٩٨٧م.

[٦٧] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة.

[٦٨] نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين، مريم محمود حسن صالح، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى بالسعودية - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ٢٤٩
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٢٥١
مقدمة..... ٢٥٣
خطة البحث: ٢٥٣
منهج البحث وخطوات السير فيه:..... ٢٥٤
التمهيد: تعريف الترف والعلاقة بينه وبين الألفاظ قريبة الدلالة. ٢٥٦
أولاً: تعريف الترف: ٢٥٦
ثانيًا: تعريف الإسراف والعلاقة بينه وبين الترف: ٢٥٧
والعلاقة بين الإسراف والترف: ٢٦١
ثالثًا: تعريف التبذير والعلاقة بينه وبين الإسراف والترف: ٢٦٢
الفرق بين التبذير والإسراف: ٢٦٣
العلاقة بين التبذير والترف: ٢٦٥
رابعًا: تعريف البذخ والسفه باعتبارهما مظهرا من مظاهر الترف:..... ٢٦٥
أ- تعريف البذخ: ٢٦٥
ب- تعريف السفه: ٢٦٦
خامسًا: تعريف البطر والعلاقة بينه وبين الترف:..... ٢٦٧
العلاقة بين البطر والترف:..... ٢٦٨
المبحث الأول: الترف في أسلوب القرآن الكريم..... ٢٧٠
أولاً: ربط الترف بالفسق وعدم الهداية: ٢٧٠
ثانيًا: ربط الترف بالظلم والسكوت عن الفساد في الأرض: ٢٧١

ثالثًا: ربط الترف بمواجهة الهداية، والدعوة إلى كل ما هو ضد الاستقامة، وتقليد السابقين دون فهم ووعي. ٢٧١
رابعًا: ارتباط الترف بمناهضة الرسل، وتوهين أمرهم وتحقير شأنهم، وتكذيب التكليفات الأخلاقية الواردة في رسالاتهم، ودعوة الناس إلى ذلك: ٢٧٣
خامسًا: علاقة الترف باستحقاق العذاب من الله لعدم الاتعاظ بالهدى واستحقاق الهلاك لذلك: ٢٧٤
المبحث الثاني: صفات المترفين وسلوكهم في القرآن الكريم ٢٧٧
١- الكبر والتباهي والغرور الذي أدى بهم إلى التمرد على أحكام شرع الله: ٢٧٧
٢- الحرص على الشهوات والمتع الدنيوية الزائلة: ٢٨٩
٣- الجزع والفزع عند المصيبة والجبن وعدم الثبات في المحن: ٢٩٢
المبحث الثالث: جزاء المترفين في الدنيا والآخرة. ٢٩٥
أولاً: جزاء المترفين في الدنيا: التدمير والإهلاك والأخذ بعذاب الاستئصال: ٢٩٥
ثانيًا: العقاب الأخروي: عذاب النار: ٢٩٨
المبحث الرابع: أسباب الترف وعلاجه ٣٠٠
ومن أهم أسباب الترف: ٣٠٠
١- انفتاح الدنيا ووفرة النعم: ٣٠٠
٢- تعلق النفس بالشهوات: ٣٠١
٣- طول الأمل ونسيان الموت والغفلة عن الدار الآخرة: ٣٠٣
٤- الاغترار بالمال والسلطان: ٣٠٥
٥- ضعف الإيمان: ٣٠٦
٦- التقليد الأعمى: ٣٠٧

علاج الترف: ٣٠٧
أولاً: معرفة حقيقة الترف ومعرفة خطورته: ٣٠٧
ثانيًا: تقوية الوازع الديني والإحساس بالرقابة الإلهية: ٣٠٨
ثالثًا: قيام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٣٠٩
الخاتمة ٣١٤
التوصيات والمقترحات: ٣١٥
مصادر البحث ٣١٦
أولاً: القرآن الكريم: ٣١٦
ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن: ٣١٦
ثالثا: كتب الحديث وعلومه: ٣٢٠
رابعًا: المعاجم والطبقات: ٣٢٢
خامسًا: كتب عامة ومجلات ورسائل علمية وأبحاث ودوريات: ٣٢٤
فهرس موضوعات البحث ٣٢٥

تم بحمد الله تعالى